وصال وخادم الألغاز

اسم الكتاب: وصال وخادم الألغاز

التأليف: سارة خميس

نوع العمل: رواية

مراجعة وإخراج فني: سالم عبد المعز سواح

رقم الإيداع: 2023 / 9752

الترقيم الدولي: 5-352-835-977-978

الناشر: دار زحمة كُتَّاب للنشر والتوزيع

٤ ش بديع خيري متفرع من ش عبد الحميد بدوي خلف كنتاكي نادي الشمس مصر الجديدة - مصر.

دار زحمة كتاب للنشر — Facebook

Email — za7ma.kotab@gmail.com

Tel — 002 01205100596
002 01100662595

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

لدار زحمة كُتَّاب للنشر

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

وصال وخادم الألغاز

رواية

سارة خميس

الإهداء

إن الحياةَ بالفعل جميلةٌ ولا يوجد بها ما يعكر سعادتك، كلٌّ شيءٍ تافهٌ لتحزن من أجله أيًّا كان إلا في حالة واحدة؛ أن تفقد شخصًا أحببته، إذا كان كل من حولك ممن أحببتهم بخيرٍ فكلٌّ شيءٍ جميل وكل شيء هين.

الفقد حقًّا مؤلم، ويجعل الحياةَ معتمة مهما حدث لك من أمورٍ تسعدك..

إهدائي لمن رحلوا عنا وتركونا نواجه الحياة بقلوبٍ محطمة حزنًا على رحيلهم، إهدائي لأحبتي الذين بقوا معي حتى الآن وكل من يساندني طوال الوقت وبالأخص في أوقات الشدة قبل الفرح

إهدائي لمن أخشى رحيلهم ولمن أعيش داعية الله ﷻ ألا يحرمني من وجودهم الغالي طوال عمري.

رحمة الله على مَن رحل، وحفظ الله من بقي..

سأظل من أجلكم أعاني دومًا من مرض "فوبيا الفراق"

المقدمة

نحتاج أحيانًا إلى تلك الصفعة لنرى ما حولنا بوضوح،

لنخرج من العتمة إلى النور

نحتاج إلى الحرمان لنشعر بقيمة النعمة التي بين يدينا

نحتاج إلى الصمت لنعرف قيمة الثرثرةِ مع مَن نحب

نحتاج إلى الخوف لنشعر بقيمة الأمان والراحة

نحتاج إلى الفراق لندرك قيمة اللقاء بمن نهوى

نحتاج إلى الضوضاء لنشعر بقيمة الهدوء والسكينة

نحن نحتاج عكس كلّ ما لدينا حتى لا نقنط أبدًا من رحمة الله وأن نزيده حمدًا على ما أنعم علينا به.

فالحمد لله دائمًا وأبدًا

على كل نِعمه التي لا تعد ولا تحصى

الحمد لله في السراء والضراء

ولنبدأ معًا تلك المغامرة

سارة خميس

الرُّهاب

الهدوء المعتاد في أركان الشقة، والجو شديد البرودة، واشتد هطول الأمطار الرعدية بالخارج، تسارعت أنفاسي فجأة وأنا أجلس منكمشة على نفسي في فراشي.

انقطع التيار الكهربائي ولكن ما زال الشمع بجواري منذ ليلة أمس، أضأت هاتفي حتى يتسنى لي إشعال الشموع وأمسكت بواحدة كبيرة ووضعتها بجواري، ولمحت المجلد القديم مرة أخرى فقلت بسخرية: "فلتقرأ العزيمة ليحضر خادم الألغاز"، ترهات وكلمات فارغة، نعم فهذا أنا وذاك حظي.......

قاطعني فجأة صوتٌ يأتي من أمامي في تلك العتمة قائلًا:

- أيتها البائسة التعيسة!

انتفضت من موضعي من شدة الفزع وأمسكت بالشمعة لتضيء تلك العتمة أمامي وهمست بصوت يرتجف:

- "من هنا؟"

شعرت بأنفاس ساخنة تقترب مني وشعرت بخطوات خفيفة على الأرض وبدأت الرؤية تتضح أمامي، تسمرت في مكاني وتساقطت الدموع من عيني بغزارة.

ما هذا الشيء؟

ليس بحيوان ولا بشر، داكن البشرة كالعبيد السود وله ذيل طويل يشبه ذيل النمور وله قرون صغيرة كالماعز، عيناه جاحظتان ولونهما أسود بالكامل.

كان يحدق بي ويقترب ثم يقترب.

"ما زلتِ تسخرين مني يا وصال؟"

وكانت تلك بداية رحلتي المرعبة مع **"خادم الألغاز"**.

وما دفعني لتلك المغامرة هو ما حدث لي في ذلك اليوم الذي لن أنساه أبدًا حين أتاني عز ووقف أمامي قائلًا:

- "أتيتكِ اليوم ليس مودعًا

لم آتِ إليكِ لأحدق في ملامحك للمرة الأخيرة

لم آتِ إليكِ لأُشبع عينيّ منكِ

لم آتِ إليكِ لأصف لكِ كم سأشتاق لتلك النظرات ولذاك الصوت الحنون الذي يُشبه خرير الماء المنهمر بين الأشجار والطيور

لم آتِ إليكِ قائلًا إنني لن أجد بديلًا لكِ ما حييت

ولن يسكن قلبي غيركِ مهما شقيت".

تنهدت وأنا أرتجف ثم قلت:

- ولماذا أتيت؟!

- أتيت لأرى شيئًا ما في تلك العيون. شيئًا سيحدد مصيري؛ إما أن أنساكِ للأبد وأفقد الأمل في عودتك، أو أعيش على حلم رؤيتكِ مجددًا.

صمتُّ للحظات وأنا أُمعن النظر به ثم قلت:

- وماذا رأيت؟!

- "رأيت عشقًا لن ينتهي مهما باعدت بيننا المسافات وطالت الأعوام.

خبئي دموعكِ، واهمسي لقلبكِ بأن تهدأ نبضاته قليلًا حتى لا أسمعها هكذا...

سلامٌ عليكِ وعلى قلبكِ يا حبي الأبدي".

(أيتها البائسة التعيسة).

غادر عز المكان الذي اعتدنا أن نلتقي به دائمًا، غادر بعد كلماتي القاسية حينما أخبرته أنني لن أستطيع الزواج منه ودون أن أُبدي أي أسباب، رغم أنني أعشقه حد الجنون، رغم أنني تجاوزت الثلاثين عامًا الآن وكلّ من هُن في مثل عمري لديهن أطفال ويعيشن حياةً سعيدةً مع أزواجهن.

لعلكم تتساءلون الآن لماذا تركته يغادر إلى بلاد لا أعرفها هكذا رغم عشقي له، حسنًا سأرضي فضولكم حتى وإن لم تقتنع عقولكم بما سأرويه..

أنا وصال في العقد الرابع من العمر، أعيش وحيدة في شقة فاخرة بمنطقة رشدي في الإسكندرية، تُوفي كلّ من أبي وأمي وأختي التي كانت تكبرني بخمسة أعوام في حادثٍ أليمٍ على الطريق الصحراوي في شتاء قارص البرودة منذ خمسة وعشرين عامًا، وكنا وقتها عائدين من رحلة زرنا بها الأهرامات والقلعة وخان الخليلي وغيرها أثناء إجازة نصف العام الدراسي.

كنت أنا الناجية الوحيدة من ذلك الحادث البشع، أصبت بجروح خطيرة وعدة كسور في يدي وقدمي ومكثت بالمشفى لشهر كامل لم أشعر فيه بما يدور حولي.

كان أبي من التجار الذين لديهم ثقل في تجارة الأخشاب وكان صاحب صيت وسمعة حسنة، وكان يشارك عمي في تلك التجارة حتى أصبحا من أكبر التجار ولديهم عدة مخازن وشهرتها (النونو) وذلك كان لقب العائلة، فأبي كان يدعى (إسماعيل النونو) وعمي (شهاب النونو).

حزن عمي كثيرًا على فراق أبي وتولى تربيتي من بعده وكان يحسن إليّ قدر المستطاع ولكن لم أشعر بالراحة في بيته، وبالأخص مع أبنائه الذين لم يكفوا يومًا عن مشاكستي والتنمر عليّ، وكانت زوجته على خلافٍ دائمٍ معه على أتفه الأسباب، مما جعلني أشعر دائمًا أن منزل عمي بمثابة حلبة مصارعة بيننا جميعًا، ولكن إحقاقًا للحق عمي حَافظَ على إرثي بما يرضي الله ولم يُنقص منه أي شيء وظل هو الوصي عليّ حتى أتممت الواحد وعشرين عامًا وكنت أنا ذاك في الفرقة الثانية بكلية الآداب قسم إعلام.

طوال فترة دراستي لم أستطع تكوين أي صداقات وكنت منطوية جدًّا على نفسي وكانت ابنة عمي معي في الجامعة نفسها ولكثرة الخلافات التي كانت تحدث بينها وبين الفتيات أو الفتيان قررت عدم الاختلاط بأي شخص وأصبحت كالمصابين بالتوحد حتى إنني عند عودتي للمنزل كنت أجلس بمفردي وأتناول طعامي بمفردي ولا أتحدث إلا بالقليل من الكلام.

كانت تصرفاتي تثير قلق عمي كثيرًا وكانت مادة غنية للتنمر عليّ من قبل أبنائه فقرر ذات يوم اصطحابي إلى أحد الأطباء النفسيين.

بعد عدة جلسات شخّص الطبيب حالتي بـ **(الرّهاب الاجتماعي)** ولذلك أتوجس خيفة من أي علاقة أو أي اختلاط حولي فهو حالة يصاب بها الشخص كنوع من القلق والخوف غير المبرر.

وأشار الطبيب أن السبب يعود إلى نشأتي وتربيتي منذ الطفولة، فكانت أمي حازمة جدًّا ومنعتني من التحدث مع الكبار أو أمامهم طوال الوقت وأيضًا أنني لم يكن لي رأي خاص بي طوال حياتي حتى دخولي الجامعة كان بتوجيه عمي وزوجته وهما من اختارا لي قسم الإعلام أيضًا.

ورجح الطبيب أن من أكبر الأسباب هو تلك الحادثة التي تعرضت لها مع عائلتي وظلت خالدة في ذاكرتي طوال سنين عمري.

وتأكد الطبيب من تشخيصه حين سألني عن بعض الأعراض فكنت أشعر دومًا بالجفاف الشديد في حلقي والتعرق رغم شدة البرد، والخفقان في القلب وعدم انتظام نبضاته وأحيانًا كنت أشعر بالتخدر في أطرافي أو الرعشة واحمرار الوجه.

طلب مني الطبيب محاولة الاختلاط بمن حولي وتكوين صداقات حتى يستطيع علاجي، وحث عمي على عدم تركي بمفردي لوقت طويل، ولكنني لم أستطع فعل ذلك فلقد تعودت وتأقلمت على الوحدة.

كنت مولعة بالقراءة وفي معظم أوقات فراغي كنت ألتهم صفحات الكتب وأنغمس بها وبالأخص تلك الكتب العتيقة والغريبة.

بعد تخرجي قررت البحث عن عمل يستهويني ولكن الرهاب الاجتماعي منعني من مزاولة أي مهنة، وتخصصي في الإعلام كان يحتاج الكثير من العلاقات الاجتماعية وكان ذلك شبه مستحيل بالنسبة لي.

كان هناك شيء آخر يستهويني وهو التصوير، طلبت من عمي كاميرا فوتوغرافية ذات دقة وجودة عالية وكنت أتجول كثيرًا على شواطئ الإسكندرية وبين المتنزهات وألتقط الصور النادرة وكنت أشعر بسعادة لا مثيل لها وأنا أفعل ذلك.

ولكن كان ينقصني شيء ما، رغم تمتعي بقدرٍ من الجمال، ورغم كل الإرث الذي تركه أبي لي لم أكن في أفضل حال، وداهمني الحزن مرة أخرى حين توفي عمي وكان عمري وقتها أربعة وعشرين عامًا، حزنت كثيرًا على فراقه فكان هو كل ما تبقى لي من عائلتي ومن بعد رحيله تبدلت معاملة زوجته لي وبدأت تقسو عليّ هي وأبناؤها، ولأتلاشى معاملتهم كنت أعود إلى المنزل دومًا في وقت متأخر لأنام دون أن يشعر بي أحدهم.

تزوجتْ ابنة عمي وأخوها الأكبر بعد وفاة عمي بعام، وذات يوم جلستْ معي زوجة عمي قائلة: "لا يمكنك المكوث معنا الآن؛ لأن ابني الصغير سيرتبط عما قريب هو أيضًا وقررت أن يتزوج هنا في بيت أبيه حتى لا أعيش وحيدة وأنا كبيرة في السن، ولذلك عليكِ البحث عن مكان آخر يأويكِ ولديكِ ما يكفيكِ من المال لتعيشي في راحة طوال حياتك".

لم يصِبني حديثها بالدهشة أو بالصدمة فكنت أتوقعه منها، وأيضًا فكرة أن أبحث عن منزل خاص بي أعيش فيه وحدي لم يكن عقبة في حياتي بل إنه شيء أفضله وبشدة، ولم أكن على علاقة طيبة بزوجة عمي وأبنائها منذ البداية، فتركت منزل عمي بهدوء وراحة، وقررت استئجار شقة مفروشة بشكل مؤقت حتى يتسنى لي الوقت لشراء شقة وتجهيزها على حسب رغبتي.

مرت الأيام والأعوام على نفس الحال وعلى روتين ثابت، أتنزه صباحًا لألتقط بعض الصور وأمرّ على أي مطعم لأتناول الغداء فيه ثم أتجول قليلًا في شارع النبي دانيال لأبحث عن الكتب النادرة وأعود بها إلى المنزل لقراءتها فلا أشعر بنفسي إلا في صباح اليوم التالي.

وفي يومٍ ما بينما كنت أتجول كعادتي على شواطئ البحر لأستنشق بعض اليود والهواء النقي وكانت الغيوم تزين السماء باللون الرمادي المحمل بقطرات الأمطار الخفيفة.

وقفت للحظة أدقق النظر في قوس قزح الذي ظهر فجأة وهو يحاوط البحر بكل أطرافه وكأنه يعانقه بلطف.

ابتسمتُ وحملت الكاميرا لألتقط تلك اللحظة الرومانسية المثالية ونظرت داخل عدسة التصوير وفجأة ظهر أمامها شخص ما وقف أمامي وحال بيني وبين قوس قزح، شعرت بالغضب وصحت به ليبتعد من أمامي.

التفت لي وارتبك بشدة حين لاحظ أنني كنت ألتقط صورة ما وأخذ يعتذر عن ذلك حتى تلاشى قوس قزح من أمامي في وهلة.

لا أدري لماذا تساقطت دموعي في تلك اللحظة وشعرت بضيق شديد وظل ذلك الشخص يصيح بي حتى أتوقف ليسألني عن سبب بكائي الذي لم أكن أدري أنا سببه.

وعدت في ذلك اليوم مبكرًا على غير عادتي وأول ما فعلته توجهت إلى الحمام لأغسل وجهي ونظرت إلى المرآة قائلة:

أيتها البائسة التعيسة.

في اليوم التالي قررت البحث عن شقة أخرى فلم أشعر بالراحة بالسكن في شقة بالإيجار، بحثت مطولًا ولكن لم يجذبني أي شيء وكلما دخلت واحدة شعرت بضيق شديد.

بعد عدة أيام من البحث وبينما كنت أتجول في طريق الحرية بمنطقة رشدي لفت نظري أحد الأبنية وتوجهت إليه مباشرة.

كان بناءً هادئًا وذا تصميم مختلف من الخارج، كان يبدو عتيقًا وقاتمًا رغم بنائه حديثًا فكانت الديكورات الخارجية تنقل الشعور بذلك.

توجهت بلهفة إلى الحارس وسألته عن توفر شقة تمليك في العقار، صمت الحارس قليلًا ثم طلب مني مرافقته إلى مكتب ما في الطابق الأرضي في العقار وقال إنه مكتب مدير التسويق الخاص بالعقار.

جلست معه وأخبرني بتوفر شقة واحدة في الطابق الثالث فقط وأن جميع الشقق تم تسكينها منذ تجديد العقار.

صعدت معه لمعاينتها وشعرت براحة شديدة عند دخولها فقد كانت هادئة جدًا رغم ضجيج الشارع في الخارج، وكانت لا تحتاج إلى أي تشطيبات وهذا ما جعلني أتمسك بها، سيكون من الأسهل أن أشتري الأثاث فقط، وعقدت النية على شرائها برغم ثمنها المبالغ فيه.

وقعت العقد مع صاحب العقار بعدها بيومين وقررت السكن بها في أسرع وقت ووقفت أدقق النظر بأركانها من فرط سعادتي بها ثم خرجت من العقار لأذهب سريعا لشراء الأثاث.

عند خروجي قابلتني إحدى العاملات في شقة ما ونظرت إليّ بشكل حاد ومخيف ثم سألتني فجأة:

- " من أنتِ؟".

ترددت قليلًا ثم أجبتها:

- أنا ساكنة جديدة هنا.

فابتسمت بخبث وقالت:

- مرحبًا بكِ، أنا شادية وأعمل خادمة في إحدى الشقق هنا، سجّلي رقم الهاتف الخاص بي لأنك قد تحتاجين مساعدتي في ترتيب شقتكِ وبالأخص أن لا أحد يجازف بالدخول في ذلك العقار".

اندهشت من حديثها وسألتها عن السبب فقالت:

- ألم يخبركِ أحدهم قبل مجيئك هنا أن ذلك العقار هو ما يطلق عليه (عمارة العفاريت أو عمارة رشدي)؟!

تسمرت في مكاني للحظات محدثة نفسي "**أيتها البائسة التعيسة**" ثم نظرتُ إلى الخادمة شادية وابتسمتُ بسخرية قائلة:

- "بل أعلم ذلك، ولهذا أنا هنا الآن وأصرّ على السكن هنا".

ابتسمت شادية ورحبت بي مجددًا ورحلت وهي تؤكد عليّ ضرورة التواصل معها، لا تعلم أن أكره ما عليّ هو التواصل مع بقية البشر.

قررت الذهاب لمعارض الأثاث الفاخرة، لشراء ما يليق بتلك الشقة ويليق بتصميمها العتيق والأنيق ولم أفكر بالخرافات التي تثار حول ذلك العقار فقد نما لعلمي منذ أعوام أن كل يُقال عنها مجرد حكايات ليس لها دليل من الصحة.

دخلت أحد المعارض وجذب انتباهي الأثاث به، فكان هادئ الألوان ومتناسقًا وقيّمًا وقررت شراء كل ما يلزمني من هذا المعرض.

بعد التأكيد على كل الغرف والأنتيكات توجهت إلى صاحب المعرض لأتفق معه على الشراء والتوصيل وكافة التفاصيل، جلست أمامه وكان منهمكًا أمام جهاز اللاب توب خاصته وفجأة رفع عينيه ليرحب بي، ابتسم بدهشة ونظر مطولًا إليّ، وأنا كذلك تسمرت أمامه في صمت ثم تفوهنا في نفس اللحظة قائلين:

- "هل التقينا قبل ذلك؟".

ابتسم صاحب المعرض ووقف من على مقعده وتحرك ليجلس أمامي قائلًا:

- تذكرتك، منذ أيام قليلة التقينا على الشاطئ وكنتِ تلتقطين بعض الصور وبعدها بكيتِ بشدة ورحلتِ مسرعة.

استعدت شعور الغضب في تلك اللحظة وأصابني التوتر ولم أقوَ على الحديث، شعر هو بذلك وحاول أن يحثني على الحديث قائلًا:

- أعتذر عما صدر مني هذا اليوم رغم إنني لم أتعمد مضايقتك أو الوقوف أمام الكاميرا، دعيني أرحب بكِ لتشربي كوبًا من العصير معي إذا تكرمتِ، أنا عز صاحب المعرض وكل شيء تحت أمرك يا آنسة........

تلعثمت قليلًا وتفوهت بصوت ضعيف يكاد يختنق في حنجرتي وقلت:

- اسمي وصال.

- تشرفت بمقابلتك للمرة الثانية يا آنسة وصال وأتمنى أن يتكرر ذلك.

زاد توتري ووقفت فجأة أنظر إلى أركان المعرض للحظات ووقف هو الآخر أمامي وفجأة نظرت إليه قائلة:

- لقد اخترت عددًا من الغرف هنا وبعض الأنتيكات وسأترك لك شيكًا بحسابها ورجاءً أرسلها إلى منزلي في أسرع وقت ممكن.

لم أترك له مجالًا للحديث معي ومضيت الشيك وسجلت عنواني بشكل سريع وخرجت من المكان أسابق خطواتي.

وصلت إلى شقتي القديمة ثم جلست على فراشي أفكر فيما يصدر مني من أفعال ولمَ كل ذلك، فلم يستدعِ الأمر التصرف بتلك الفظاظة والغرابة مع عز، ولكن شخصيتي تغلب على تصرفاتي، ويلٌ لكِ **أيتها البائسة التعيسة.**

أرسل عز الأثاث في اليوم التالي ورتبت كل شيء بنفسي وقد خارت قواي تمامًا، فمساحة الشقة كبيرة جدًّا وتحتاج إلى عدة أشخاص لفرشها ولكن لا بأس.

لم أشعر بالخوف أبدًا وخاصةً أنني من هواة القراءة للروايات المرعبة ومشاهدة الأفلام المخيفة والخارقة للطبيعة منذ صغري ولكن ما لفت انتباهي رغم إشغال كافة الشقق في العقار أنني لم أسمع أي صوت يدل على وجود أحد الجيران هنا ولم أصادف مقابلة أحدهم أثناء صعودي وهبوطي من المبنى، ولكنها كانت لحظات عابرة في التفكير وابتسمت بعدها لأن هذا النوع من الهدوء يستهويني بشكل كبير.

وفجأة قطع صمتي جرس الباب وانتفضت في فزع من موضعي ثم التقطت أنفاسي وتوجهت إلى الباب وسألت مِن خلفه عمن هناك، ثم سمعت صوت شادية الخادمة ففتحت الباب بتأفف فابتسمت لي بوجه متجمد قائلة:

- أتيت لأعرض عليكِ المساعدة.

- أشكرك، لكن لا أحتاج إلى شيء.

دفعتِ الباب عنوة ودلفتْ بتطفل إلى الداخل وكانت تحمل في يديها لفافة ما.

أخذتْ تتجول في أرجاء الشقة وتتحسس الأثاث بيدها محدقة به وأنا في حالة من الاستياء من تصرفاتها العجيبة.

صحت بها فجأة قائلة:

- ماذا تفعلين؟ قلت لكِ لا أحتاج إلى شيء ولا تروقني تصرفاتك.

نظرتْ إليّ بحدة ثم قالت:

- تلك اللفافة لكِ.

قلتُ بدهشة:

- لي أنا! من الذي أرسلها وماذا بداخلها؟

ـ لا أدري افتحيها بنفسك لقد تركها شخصٌ ما مع الحارس وأخبره أن يسلمها لكِ وطلبت منه أن أوصلها لأرى إذا كنتِ في حاجة للمساعدة ولكنكِ لا تقدّرين ذلك، حسنًا خذي لفافتك وسأرحل.

أمسكت باللفافة وبدأت في فتحها ووقفتْ شادية بجواري لترى ما بداخلها فنظرتُ إليها في غضب وطلبت منها المغادرة.

رحلتْ وهي تتمتم قائلة:

- حتى لم تشكرْني ولو كذبًا، فتاة متعجرفة.

لم أعِرها انتباهي وفتحت اللفافة فوجدت بداخلها علبة من الحلويات وورقةً مكتوب عليها بعض الكلمات.

"أتمنى أن تكوني بخير واقبلي مني تلك الهدية البسيطة لأبارك مسكنكِ الجديد وتعاملكِ معنا يا آنسة وصال.... تحياتي معرض عز للموبيليا".

اندهشتُ مما فعله عز ولاهتمامه بي ولكن لعله يفعل ذلك مع جميع عملائه.

انتهيتُ من فرش الشقة وأصبحتْ أكثر من رائعة ومتناغمة في ألوانها وهدوئها، وجلست أقرأ أحد الكتب الشيقة وأنا أحتسي كوبًا من الكاكاو الساخن وفجأة سمعت عدة أصوات غريبة تأتي من أعلى السقف كخطوات أشخاص وهمهمات غير واضحة فابتسمت محدثة نفسي: "وأخيرًا صدر صوت للجيران هنا".

في اليوم التالي بدأت ممارسة هوايتي المعتادة في التنزه وكنت أحتاج إلى شراء طعام لأضعه في المُبَرِّد لأتفنن في صنع الأكلات في غرفة طعامي الجديدة.

وبينما كنت أسير على الشاطئ كعادتي وجدت "عز" يقف أمامي مبتسمًا، سرت ببعض الخطوات إليه في ضيق ودهشة فألقى عليّ السلام ولكنّي لم أجبه وقلت بحدّة:

- ماذا تريد مني؟ أتراقبني أم ماذا؟ ولم يكن هناك داعٍ لتلك الحلوى التي أرسلتها إليّ.

أشار بكلتا يديه لأهدأ قليلًا ثم قال:

- أعتذر فلم أقصد إزعاجك وأنا لا أراقبكِ أبدًا ولم أكن أدري أنكِ تمرّين من هنا كثيرًا، أنا فقط آتي إلى هنا بشكل معتاد لأمارس رياضة السير وقابلتك بمحض الصدفة.

شعرتُ بالخجل الشديد واعتذرت إليه عن طريقتي الفظة وتسرعي في الحكم عليه وتحركت من أمامه لأرحل بعيدًا فاستوقفني قائلًا:

- انتظري لحظة، لماذا أنتِ هكذا؟ ولماذا يبدو عليكِ الحزن الشديد دائمًا؟

تبدلت ملامح وجهي في غضب مجددًا وصحت في وجهه قائلة:

- "حسنًا لتظهر حقيقتك الآن؛ لماذا يبدو الحزن على عينيكِ؟ وماذا بكِ؟ وتسترسل في الحديث كبقية الرجال، تشبهون بعضكم كثيرًا، انظر يا هذا لا تغرّك ملابسي الأنيقة وهيئتي التي توحي بأنني من تلك الفتيات من الطبقات العالية التي يمكنها التحدث مع أي شخص برقة ودلال فلست من هذا النوع إطلاقًا ولا أحب التحدث إلى أي شخص والآن دعني وشأني وإياك أن أراك مجددًا ولو بمحض الصدفة كما زعمت..... فهمت".

لم يتفوه بكلمة وكان فقط ينظر إليّ في حيرة ورحلت من أمامه في غضب شديد.

مر يومان ولم أخرج من الشقة، حتى شعرت بالملل الشديد وفكرت في زيارة زوجة عمي -رحمه الله- ولكن تراجعت عن تلك الفكرة فلم تحاول حتى التحدث معي عبر الهاتف بعد مرور تلك الأعوام وكأنها سعيدة بالتخلص مني.

تساءلت بيني وبين نفسي كيف يمكن لأحدهم أن يكون قاسيًا لهذه الدرجة مع شخص لم يسبب له أي ضرر وعاش معه في سلام لسنوات طويلة وترعرع يومًا بعد يوم في بيته وأمام عينه، لو كنت حيوانًا تربيه لكانت اشتاقت إليّ هي وأبناؤها ولو قليلًا، ولكن من الممكن أن أكون سببًا في تلك المعاملة الجافة فقد كنت دومًا منغلقة على نفسي وأعيش معهم ولكن في وحدة تامة.

خرجتُ من العقار في وقت متأخر لأتنزه في أحد المولات وكنت أسير بخطوات ثقيلة وشاردة تمامًا لأصعد في المول من طابق لآخر دون أن أشتري أي شيء.

فجأة في أحد محلات العطور لمحت شخصًا ما، وفي اللحظة نفسها وقعت عينه عليّ، إنه هو صاحب معرض الموبيليا؛ عز، شعرت بالخجل في تلك المرة فيبدو أن القدر يرتب لقاءنا بالصدفة في كل مرة ولم يتعمد أبدًا رؤيتي.

نظر إليّ في دهشة للحظات وعزم على الوقوف من مقعده ثم تراجع مرة أخرى وصرف نظره عني وعاد لحديثه مع الشخص الذي يجلس معه.

رد فعله كان طبيعيًّا بالنسبة لي بعد ما صدر مني تجاهه فبالتأكيد لن يحاول محادثتي مجددًا.

شعرت بالضيق ولا أدري لماذا، كان هناك شيء بداخلي يتمنى أن يحادثني وشيء آخر يقول لي ارحلي سريعًا، أتدرون ذاك الشعور حينما تقابلون شخصًا ما وتشعرون أن مصيركم مرتبط ببعضكم البعض، أو إنكم التقيتم من قبل في عالم آخر؟

هذا كان شعوري تجاه عز ولا أدري لماذا رغم خوفي الشديد من الاختلاط بأحدهم أو التقرب منه.

بالفعل خرجت من المول وعدت إلى شقتي التي يسودها الهدوء القاتل وبعض الهمهمات الغريبة التي تصدر من الأعلى.

في اليوم التالي خرجت لأتنزه ولكن قبل مغادرتي سألت الحارس:

- دائمًا ما ينشط الجيران ليلًا ويقومون بحركات عالية وكأنهم يسيرون بقوة ويحركون الأثاث رجاء أخبرهم أن يفعلوا ذلك في الصباح.

اندهش الحارس قائلًا:

- يا آنسة وصال الطابق الرابع لا يسكنه أحد، معظم الجيران اشتروا الشقق ولكن لم يسكنوا بها حتى الآن وهذا الطابق خالٍ تمامًا.

فتحت فمي بدهشة فابتسم قائلًا:

- بالتأكيد إنك تتوهمين ذلك أو يأتي ذلك الصوت من العقار المجاور لنا فلا تفكري كثيرًا.

رحلت وقد انتابني القليل من الخوف ولكن لعلني أتوهم ذلك، في ذلك اليوم تعمدت الذهاب إلى الشاطئ الذي يوجد به عز، ووقفت هناك لبعض الوقت ولكن لم يظهر، فتكرر ذهابي للمكان يومًا بعد يوم ولكن دون جدوى ووجدتني فجأة أقف أمام معرض الموبيليا الخاص به ولا أدري لماذا، أحيانًا يسوقنا القدر إلى حيث يريد القلب دون أن نفكر أو نشعر.

وجدت "عز" جالسًا على مكتبه من بعيد فلمحني، وما إن لمحني حتى هرولت لأختفي من أمامه وعدت أدراجي وأنا أعنف نفسي على فعلتي تلك.

وفجأة رن هاتفي برقم غريب، في الأساس لا يحادثني أحدهم إطلاقًا والهاتف ما هو إلا وسيلة لطلب أشياء أو متابعة مواقع التواصل الاجتماعي.

أجبت على المتصل لأجده هو على الخط الآخر وكان صوته شديد التوتر وكأنه لا يدري ما سيقوله.

حدثته قائلة:

- لقد مررت بالصدفة من أمام المعرض ولم..........

قاطعني قائلًا:

- لم أوجه لكِ أي سؤال ولكن أحيانًا نفهم الصدف بشكل خاطئ.

ارتبكت قليلًا ثم قلت:

- أعلم أنني تسرعت في الحكم عليك وأقدم اعتذاري ولكن لماذا تحادثني الآن.

- لا أدري ولكن شعرت أنني أحتاج لذلك.

استرسلنا في الحديث معًا ولا أدري لماذا وعن ماذا كنا نتحدث ولكنني لأول مرة أشعر بحاجتي لذلك رغم قلقي الشديد ولأول مرة أفعلها ولكن شعرت براحة غريبة وانجذاب شديد لعز.

لفت انتباهي طريقته المميزة والهادئة في الحديث وإنه مستمع جيد جدًّا وجاد وخفيف الظل في الوقت نفسه غير إنه وسيم وأنيق جدًّا، حقًّا لم أقوَ على مقاومته تلك المرة، وكانت تلك بداية النهاية فمن بعدها تكرر الحديث بيننا ثم تكررت لقاءاتنا ويومًا بعد يوم انجذبنا لبعضنا البعض وأخبرته عن قصتي من البداية والغريب أنه يعاني من الوحدة والفراغ مثلي تمامًا.

لم أفوت يومًا لم أقابله فيه، نحكي عن كل شيء يخصنا وعن أي شيء، ولكن كنت أشعر دائمًا أن هناك حزنًا غريبًا في عينيه وسألته ذات مرة عنه فأجاب:

- هناك سر صغير يخصني ويسبب لي الضيق، حادثة وقعت في حياتي منذ أعوام وأثرت كليًّا بي وجعلتني أخشى الاقتراب من أحدهم بعدها وفضلت العيش وحيدًا، لقد جعلتني أفكر أيضًا في الرحيل بعيدًا عن هنا لبلد آخر، وتجارتي لا تجدي نفعًا أيضًا هنا مع كل الظروف الاقتصادية التي تمر بها البلاد، الناس تبحث عن كل ما هو قليل في سعره ويفي بالغرض، وتزداد تكلفة صنع الموبيليا يومًا بعد يوم ولا يوجد بيع بالشكل المرضي، وأنا لا أجيد سوى تلك التجارة ولهذا ومع كل تلك الأسباب فكرت مليًّا بتغيير حياتي بكل ما فيها والابتعاد عن الذكريات.

قلتُ له بدهشة:

- وما هي تلك الحادثة؟ وهل ستنوي الرحيل بالفعل؟

صمت عز للحظات ثم أردف قائلًا:

- لا أعلم ربما لو كان أحدهم معي سأبدل رأيي ولكن لا عليكِ الآن وسيأتي اليوم لتعرفي هذا السر ولكن المهم الآن أنكِ تخطيت ذاك الحاجز المنيع وعزفتُ عن المضي وحدي بسبب وجودك بجانبي، فلأول مرة أشعر بذاك النبض الذي يهاجم القلب من أجل شخص بعينه، شعور جميل ومخيف في الوقت نفسه.

- وما المخيف فيه يا عز؟

- أخاف من الفقد مرة أخرى، أخاف من الفراق والحرمان.

- إذًا لقد أحببتَ من قبل.

- لم يحدث، لم يكن هكذا فلم أشعر بما أشعر به معكِ الآن، إنه شيء جديد يقتحم فؤادي يا وصال رغم حرصي على أن أكون وحيدًا.

- تشبهني كثيرًا يا عز.

- كيف؟

- شعورك بالوحدة، عدم الرضا عن شكل حياتك، تخوفك من القرب من أحدهم.

- ولكن هذا الخوف تلاشى وأصبح خوفًا من نوع آخر، كما قلت؛ الخوف من الفراق، وصال عديني بألا نفترق مهما كان ومهما حدث.

- ليس الآن يا عز.

ـ ألا تحبينني؟

ـ بلى ولكن......

حاول عز لمس يدي وقتها ولكن شعرت ببرودة تسير في جسدي ودوار، مرة أخرى "ذاك المرض اللعين متمسك بي" ولكني أريده في حياتي، فهو الوحيد الذي يملأها بهجة وسعادة وأمانًا الآن، فمن حيث لا ندري تحول الانجذاب إلى تعلق، والتعلق تحول إلى تعود، والتعود تحول إلى عشق وغرام من نوع فريد.

هو الوحيد الذي تقرب مني دون مصلحة، أحبني بكل عيوبي واضطرابي وتقلبي، أحبني دون شروط أو قيود، يهتم بأدق تفاصيلي، هو من يحادثني يوميًا ليقول لي:

"كيف حالك؟

هل أنتِ بخير؟

بماذا تشعرين؟

هل تناولتِ طعامكِ؟

لا تجلسي بمفردك فأنا هنا؟

لا تذهبي للطبيب بمفردك فأنا هنا؟

أنا معكِ وبكِ ومنكِ ما دمت حيًّا"

هو من قاسمني كل شيء؛ سعادتي، حزني، غضبي، وحدتي، حتى لحظات مرضي، ولكن يظل هناك شيء بيني وبينه، هناك هذا الخوف الذي يجعلني أعزف عن تكوين أسرة.

تساءلت دومًا، هل سأكون زوجة صالحة مع كل تلك العقد بداخلي؟

هل سأكون أمًّا صالحة وأربي أبنائي ليكونوا أسوياء وغير مصابين بأي عقد؟

هل سأقوى على فعل ذلك؟!

هل يحبني حقًّا وسيكون مخلصًا ووفيًا لي؟!

كل هذا وأكثر كان يطاردني وأنا معه طوال الوقت، أضحك وبداخلي ألم، أهمس في حديثي معه وبداخلي صراخ، أتحدث بحساب وبحرص شديد وبداخلي حب ومشاعر فيّاضة أريد أن أبوح بها، تقف ساكنة في قلبي، تنبض برفق ورقة حتى أحب الحياة، جزء مني يريده هنا معي والآخر يريده أن يرحل. وهكذا كنت معه دائمًا طوال ستة أشهر، أهرب من الاعتراف بحبي بينما هو يبوح بكل ما بداخله بالكلام وبالأفعال، حقًّا عز شخص مثالي في حبه ورومانسيته ولكنني ما زلت مقيدة بهذا الخوف بداخلي، لقد كان طويل البال عليّ وعلى جنوني حتى جاء هذا اليوم.

فبعد مرور شهرين آخرين قرر عز فجأة التقرب مني أكثر وبات لا يقوى على الابتعاد عني لحظة وقرر أن يرافقني في كل لحظاتي وأن يحطم هذا الحاجز الموجود بيننا، في هذا اليوم قابلني كالعادة ولكن تحدث بشكل جدّي على غير العادة وعرض عليّ الزواج لنكون معًا إلى الأبد.

في تلك اللحظة انقبض صدري وشعرت بضيقٍ شديدٍ وتسارعت نبضاتي وكأنني حوصرت داخل خندق ما، أنهيت حديثي معه فجأة ورحلت مسرعة إلى شقتي.

حاول أن يحادثني مرارًا وتكرارًا ولكنني تعمدت الهروب منه، بكيت وبكيت كثيرًا على أفعالي تلك، مرضي اللعين يهاجمني مجددًا، ذاك الرهاب قرر أن يلازمني بقية عمري، أنا هكذا أعشق كوني وحيدة ولا أقوى على تكوين أسرة أو أن أكون فتاة مسؤولة عن أبناء ورجل وكل تلك الأمور....

"دعيه يا وصال فهو يستحق الأفضل"

هكذا حدثت نفسي

"تبًّا لكِ أيتها البائسة التعيسة".

بعد شهرين من محاولات عز المستميتة للحديث معي أرسل لي رسالة قائلًا:

"وصال.. لقد نويت الرحيل وقمت ببيع المعرض هنا وسأغير تجارتي في مجال آخر ومكان آخر، سأرحل بعيدًا عن مصر وعنكِ، كم كنت أتمنى أن تكوني معي ولكنكِ أبيتِ ذلك دون أن تخبريني عن السبب، حتى وإن كان هناك شخصٌ آخر يسكن قلبكِ، كل ما أتمناه الآن هو رؤيتكِ قبل مغادرتي، أراكِ للمرة الأخيرة، ورجاءً لا تردي طلبي".

بكيت بشدة وقررت مقابلته للمرة الأخيرة فكم سأشتاق إليه.

تركني عز بنظراته التي يملأها الحزن والأسى، تركني دون أن يعرف حقيقة ما أكنه له وسبب ابتعادي عنه، كنت أرجوه من داخلي بأن ينتظر أو يساعدني في تخطي هذا المرض اللعين ولكنني كعادتي أتصرف بغباء لأضيع حب عمري من بين يدي.

رحل عز، وسرتُ كالتائهة في الشوارع وحملتني خطواتي إلى شارع النبي دانيال لأمارس هوايتي المعتادة في البحث عن الكتب القديمة ولكن في تلك المرة قررت شراء رواية ما تتحدث عن الفراق والحب المستحيل والبحث عن كتاب يحتوي على تفاصيل مرض الرهاب وكيفية التخلص منه.

بينما كنت أواصل البحث بين الكتب عثرت على مجلد غريب الشكل ومطموس المعالم من الخارج، فسألت صاحب المكتبة عن ماهيته فقال:

- لا أعلم فقد أحضره لي صديق مع بعض الكتب لأبيعها، ولكنه كتابٌ قديمٌ جدًّا ومهترئ الصفحات ولا أعتقد أن ينجذب إليه أحد.

فتحت صفحاته وكانت شديدة الاصفرار وبعض الكلمات لا تظهر بوضوح، ولكن يبدو بوضوح أنه يحتوي على معلومات عن السحر والجنّ.

لمعت عيناي من الفضول وقررت شراءه وفوجئت أن صاحب المكتبة طلب مني ثمنًا بَخْسًا له وكأنه يريد التخلص منه.

عدت به إلى شقتي وجلست على فراشي وأنا أمسك برواية تتحدث عن الفراق وبدأت في قراءتها، كان وجه عز يطاردني في كل كلمة، وكل سطر، وكل صفحة، وغرقت عيناي بالدموع لتبلل صفحات الرواية.

استسلمتُ لإحساسي المؤلم وانهرت بقوة وصرخت عاليًا متمنية عودة عز، أمسكت بالهاتف لأرسل له حتى يحادثني وأخبره أنني لن أقوى على فراقه ولكنه لم يستقبل تلك الرسالة فحاولت الاتصال به ولكن الهاتف كان مغلقًا... لقد رحل وفات موعد اللقاء ولا أدري أين ذهب فلم أسأله حتى قبل مغادرته عن ذلك.

شعرت بالندم الشديد وغفوت وأنا أحتضن تلك الرواية وهاتفي إلى أن استيقظت فجأة على صوت صراخٍ عالٍ يأتي من الأعلى.

وقفت بهلع وهرولت إلى الشرفة لأرى ماذا يحدث ولكن ساد الصمت تماما ثم خرجت بخطوات ثقيلة عند باب الشقة ولم أجد أي شيء.

بالتأكيد توهمت ذلك بسبب حالتي النفسية تلك.

كانت الثانية بعد منتصف الليل، عدت إلى فراشي وأنا أفكر في عز وأين هو الآن وفيم يفكر وبماذا يشعر، فبكيت مجددًا حتى وقع نظري على منضدة بجواري وضعت عليها ذاك المجلد القديم ووجدتني ألقفه دون أن أدري وبدأت في تصفحه.

الكثير من الطلاسم غير الواضحة وغير المفهومة، وأخذت أقلب في صفحاته بشكل عشوائي حتى لمعت عيناي فجأة عند عنوان ما "**طلسم لجلب خادم الألغاز**"

اندهشتُ من العنوان وبدأت في قراءة الصفحة ووجدت شيئًا عجيبًا وهو عن كيفية تحضير خادم الألغاز ووظيفته أن يلبي أي طلب مهما كانت صعوبته، ولكن لماذا سمي بهذا الاسم؟

حدثت نفسي قائلة: "لعله يأتيني بحبيب قلبي عز فلمَ لا أجرب ذلك؟!"، وبدأت في التركيز على خطوات تحضيره وكانت بسيطة إلى حد ما وهي كالآتي:

"أشعل بعض البخور في كل أركان الغرفة ثم أشعل عددًا من الشموع على هيئة دائرة حولي، ثم أقرأ آيات معينة من بعض سور القرآن الكريم وأردد بعدها عزيمة ما خاصة بذاك الخادم وأنتظر للحظات حتى يظهر أمامي ويحادثني"

ولكن كانت هناك بعض الشروط عند تحضيره وهي:

ألا أصرفه قبل تنفيذ ما يقوله

وإنه لن يحقق لي أي طلب إلا بمقابل معين ليس به ضرر

وإنه سيلازمني طوال الوقت

وإنه من الجن المسالم

ولكن إذا خالفت الشروط قد يأخذ روحي.

حسنًا لا بأس فقد أثار فضولي وأيضًا كل شيء يهون مقابل عودة عز حتى وإن كانت حياتي هي الثمن.

مرت ساعة وأنا أجلس في مكاني أرتجف قليلًا وفي انتظار ظهور هذا الخادم ولكن يهيمن الصمت على المكان ولم يظهر أي شيء.

راجعت شروط التحضير فلربما أخطأت في شيء ما ولكن لا يبدو ذلك فقد طبقت كل ما تم ذكره في العزيمة ولكن لم يظهر أي شيء.

مرت لحظات أخرى وشعرت بالملل والإرهاق الشديد وتأففت وأنا ألقي بالمجلد أمامي وأطفأت كل الشموع وقررت الذهاب لفراشي لأنام قليلًا، كان يومًا صعبًا ومؤلمًا وساعاته طويلة جدًّا، وغفوت دون أن أهتم بأي شيء حتى جاء اليوم التالي.

شعرت بضيقٍ شديدٍ أثناء جلوسي في شقتي وكادت الدموع تخنقني، وسخرت من نفسي لما فعلته في الأمس وبما توهمت وإني اعتقدت أن خادمًا من الجن قد يمكنه مساعدتي.

ولماذا لم أساعد نفسي من البداية؟

لماذا فرطت فيمن أحب بتلك السهولة؟

حقًّا لا نعرف قيمة ما بين أيدينا إلا وقت ضياعه أو تلاشيه.

خرجت لأستعيد ذكرياته معي، وتحدثت مع الأماكن الخالية من صوته قائلة: "ليتكِ تعودين به، ليتكِ تأتينني به، ليتك تخبريه أنني لا شيء من دونه".

كنت لا أريد العودة إلى المنزل وظللت أمشي طويلًا حتى تأخر الوقت واشتدت برودة الجو فعدت إلى المنزل وأنا أسحب خيبتي وضيق صدري من خلفي.

الهدوء المعتاد في أركان الشقة، والجو شديد البرودة، واشتد هطول الأمطار الرعدية بالخارج، تسارعت أنفاسي فجأة وأنا أجلس منكمشة على نفسي في فراشي.

انقطع التيار الكهربائي ولكن ما زال الشمع بجواري منذ ليلة أمس، أضأت هاتفي حتى يتسنى لي إشعال الشموع وأمسكت بواحدة كبيرة ووضعتها بجواري، ولمحت المجلد القديم مرة أخرى فقلت بسخرية: "فلتقرأ العزيمة ليحضر خادم الألغاز"، ترهات وكلمات فارغة، نعم فهذا أنا وذاك حظي.......

قاطعني فجأة صوتٌ يأتي من أمامي في تلك العتمة قائلًا: **أيتها البائسة التعيسة!**

انتفضت من موضعي من شدة الفزع وأمسكت بالشمعة لتضيء تلك العتمة أمامي وهمست بصوت يرتجف:

- "مَن هنا؟".

شعرت بأنفاسٍ ساخنة تقترب مني وشعرت بخطوات خفيفة على الأرض وبدأت الرؤية تتضح أمامي، تسمرت في مكاني وتساقطت الدموع من عيني بغزارة.

ما هذا الشيء؟

ليس بحيوان ولا بشر، داكن البشرة كالعبيد السود وله ذيل طويل يشبه ذيل النمور وله قرون صغيرة كالماعز، عيناه جاحظتان ولونهما أسود بالكامل. كان يحدق بي ويقترب ثم يقترب.

"ما زلتِ تسخرين مني يا وصال؟".

"قالها ذاك الكيان فارتجفت بشدة وأدركت في تلك اللحظة أنه هو **خادم الألغاز**، لقد حضر بالفعل، ولا أدري أأسعد بذلك أم أموت رعبًا.

ظل يحدق بي بخبث وحاولت جاهدة استجماع قواي وقلت له:

- أنت خادم الألغاز؟

- وهل تنتظرين غيره؟!

- ولماذا لم تأتِ ليلة أمس؟

- لأنني هكذا أعشق مفاجأة مَن أتعامل معه لأرى مدى قوته، ولكنكِ قوية بعض الشيء فمن فعلها قبلك توقف قلبه ما إن لمحني....

ارتجفتُ مكاني دون أن أسأله عن شيء آخر حتى صاح بي قائلًا:

- لماذا دعوتِني يا وصال، ماذا تريدين مني؟

ابتلعت ريقي وقلت بتلعثم:

- قرأت أنك يمكنك تحقيق بعض الأمنيات وأنا في حاجة أن تحقق لي أمنية واحدة.

ضحك بصوتٍ عالٍ وظل يقفز ويقفز حولي حتى جنّ جنوني فصحت به:

- "توقف".

وقف ساكنًا فجأة ثم صحت مرة أخرى وقد استجمعت كل طاقتي قائلة:

- "هل ستخدمني أم أحرقك الآن؟".

أمسكت بالمجلد فنظر إليّ الخادم في ذعر ورهبة ثم قال:

- "حسنًا سأساعدك".

- ما اسمك يا هذا؟

- اسمي شعضوض.

لم أتمالك نفسي من الضحك، وشعر الخادم بالغضب فصاح بي:

- " لا تسخري مني".

- حسنًا يا شعضوض لقد أضعت حب عمري "عز"، وغادر منذ يومين ولا أدري إلى أين ذهب وأشعر بالندم كثيرًا وأريد أن يعود لي ونتزوج ونعيش معًا.

قاطعني شعضوض قائلًا:

- على مهلك يا وصال أنا لست بعفريت المصباح السحري لأنقلك من مكان لآخر في لمح البصر أو أجلب لكِ شخصًا ما في لمح البصر، أنا نوع من أنواع الجن ولكن بشكل مختلف، أساعدك ولكن من خلال لعبة صغيرة، فأنا أعشق الألعاب ويجب على مَن يحضرني أن يكون على علم بذلك.

اندهشت قائلة:

- لا أفهم قصدك!

ـ حسنًا سأوضح لكِ؛ تريدين مني مساعدتك في العثور على حبيبك، سأفعل ولكن بطريقة مختلفة، واعلمي أنه لا يمكنكِ التراجع فما إن حضرت لن أتمكن من الانصراف إلا بعد انتهاء اللعبة وإذا رفضتِ أن تكمليها سألتهمك.

ضحك بسخرية ثم صمت فجأة وأنا في حالة من الذهول، اقترب من وجهي بأنفاسه الكريهة قائلًا:

- ستتعرضين لعدة ألغاز، كل لغز تجدين حله ينقلك إلى اللغز الذي يليه ومع حل كل لغز سأعطيكِ مفتاحًا يخص المكان الذي يعيش فيه حبيب قلبك.

صحت في وجهه بغضب:

- ولماذا لا تخبرني عن مكانه مباشرة ولمَ تلك اللعبة؟

ـ لأنكِ أحضرتِ جني الألغاز وليس "زعزوع" المتخصص في جلب الحبيب.

ـ حسنًا سأصرفك وأحضر "زعزوع".

ضحك شعضوض بصوت عالٍ قائلًا:

- لا يمكنكِ فعل ما يحلو لكِ وكيفما شئتِ، لا يمكنني الرحيل إلا بعد حل الألغاز أو تموتين........ لنرى ماذا ستختارين؟

ارتبكت بشدة وتشتت عقلي وبعد تفكيري للحظات قلت له:

- حسنًا حياتي مملة في الأساس فلمَ لا ألعب تلك اللعبة للتسلية على الأقل، إنها مجرد فوازير كتلك التي كنت أشاهدها في رمضان وكنت أحلها بسهولة.

ـ هاهاهاهاها... ولكنها ليست بفوازير يا عزيزتي، إنها ألغاز ستكونين بداخلها وأحد أفرادها وتخرجين عندما تنتهين من حلها، مستعدة لنبدأ **أيتها البائسة التعيسة**؟

ـ لا أفهم ولكن لا باس لنبدأ.

طلب مني شعضوض أن أغمض عيني للحظات ثم أفتحها.

أغمضت عيني وبعد لحظات فتحتها لأجدني كما أنا جالسة على فراشي.

نظرت حولي لأرى الخادم ولكنه قد اختفى، حدثت نفسي قائلة: "ما تلك السخافات، هل يستهزأ بي هذا الجنّ أم ماذا؟!".

*****

عمارة العفاريت

ظهرت أمامي فجأة على الحائط كلمات تضيء باللون الأحمر، اقتربت منها لأستطيع قراءتها ووجدت تلك الكلمات "اللغز في العقار، ابحثي عن سر عمارة العفاريت".

ماذا؟ كيف يمكنني فعل ذلك؟ ومن أين سأعرف سر ذلك العقار اللعين، بداية غير مبشرة...

أصاب الشلل تفكيري وجلست على فراشي في حالة من العجز حتى الصباح، لا أدري ماذا أفعل، وأخذت أنادي على شعضوض كي يظهر ولكن دون جدوى، حتى سمعت طرقًا شديدًا على الباب، أسرعت لأرى من هناك وتوقعت أن تكون شادية.

فتحت الباب ووجدت رجلًا ما يرتدي جلبابًا وهيئته غريبة جدًّا، ابتسم لي قائلًا:

- صباح الخير يا مدام وصال، الحاج شاكر السنهوري أرسلني لأرى إن كنتِ تحتاجين أي شيء.

وقفت في حالة من الصمت وكان السلم الخارجي والرواق الخاص بالطابق في حالة مختلفة وكأنهما قد تبدلا، ظل الرجل يحدق بي حتى سألته:

- من أنت؟

- ماذا بكِ يا مدام وصال؟ أنا خادمك متولي حارس العقار وقد أرسلني الحاج شاكر السنهوري حتى......

قاطعته قائلة:

- من هو شاكر السنهوري؟

عقد الرجل حاجبيه في دهشة ثم قال:

- الحاج شاكر زوجك يا مدام، لا حول ولا قوة إلا بالله، سأخبره أنكِ لستِ بخير ليأتي بنفسه ويرى ما بكِ.

حاولت أن أوقفه ولكنه ابتعد بشكل سريع عن المكان، دققت النظر في السلم والرواق ولكنهما تبدلا تمامًا ولا أعرف كيف حدث ذلك. أغلقت الباب ودلفت إلى الداخل لأعود لغرفتي وأثناء مروري على غرفة المعيشة تسمرت مكاني فجأة مما رأيت.

إنها صورة كبيرة معلقة على الحائط لا أدري من أين أتت، والغريب أن الأشخاص في الصورة هم أنا وعز، نعم أنا أقف في الصورة مرتدية فستان زفاف أبيض وبجواري عز، تشتت تمامًا فهل يعقل ذلك! وكيف حدث؟

هل أعاده الخادم لي ولكن كزوج! ومن هذا الحارس الذي أتى؟

ارتديت ملابسي وقررت الهبوط للأسفل وتفقد الأمر، وهنا كانت صدمة جديدة فكان مدخل العقار غريبًا ومختلفًا وكأنه يعود لمبنى قديم جدًّا، كل شيء تبدلت معالمه.

خرجت إلى الشارع وكان كل شيء هناك مختلفًا أيضًا، الطرق، السيارات، المحلات، حتى الناس وملابسهم، كل شيء وكأنه جاء من الماضي، لا أدري ماذا أفعل فأخرجت الهاتف من حقيبتي ولكنه كان قد تحول إلى علبة فارغة غريبة الشكل.

أوقفت سائق التاكسي ليذهب بي حيث الشاطئ وسألته قائلة:

- من فضلك في أي يوم نحن؟

نظر السائق إلي في المرآة الأمامية بدهشة ثم قال:

- اليوم هو الجمعة الموافق الخامس والعشرون...

- نعم.... في أي شهر وأي عام؟

ابتسم الرجل بسخرية ثم قال:

- نحن في شهر ديسمبر ١٩٤٢.

شهقت بقوة من وقع ما سمعته من السائق، وأيقنت أنها الحقيقة فكل ما حولي عتيق جدًّا وإن تبدلت الألوان إلى الأبيض والأسود سيصبح مثاليًّا لأكون داخل فيلم عربي قديم جدًّا، **أيتها البائسة التعيسة.**

كورنيش الإسكندرية في أبهى صورة، لوهلة كنت أستمتع بكل شيء تقع عيني عليه

ملابس الفتيات الأنيقة والمباني القصيرة المصممة على الطراز اليوناني على الصف الآخر من الكورنيش، الطرق خالية لا يسير بها إلا عدد محدود من السيارات.

الجالسون على المقاهي كانوا غاية في السعادة ويتبادلون الحديث الممتع ويستمعون إلى الراديو لأحد المطربين القدامى لا أعلم من هو، ويجلس القليل من الأسر على الشاطئ يلهون ويلعبون.

فأين الهاتف الذكي الآن؟

لماذا لا يلتقطون الصور طوال تلك اللحظات ويفوتون هذا المرح وتلك المناظر الخلابة؟

لماذا يتحدث الناس معًا وغير ملهيين في شاشة الهاتف يشاهدون عليه الأخبار المملة والحزينة والحالة الاقتصادية وغلاء الأسعار والفيديوهات التافهة لبعض الأشخاص غير المعروفين؟

وتلك الفتاة التي تقرأ خطابًا ما يبدو أنه من حبيبها وكانت في حالة من السعادة واللهفة لماذا لم تتركه وترسل إليه عبر مواقع التواصل الاجتماعي وإذا لم يجِبها تجد ألف شيء يقوم بتسليتها كنشر كلمات تدل على مدى حبها لهذا الشخص ليعلق لها صديقاتها متمنيات لها السعادة وفي داخلهن غيرة وحقد، ويعلق الرجال بالتهاني ثم يدخل أحدهم محاولا استدراجها لتكون بين يديه ومعه هو وحده، لماذا هي في راحة من ذلك وسعيدة بورقة مكتوب عليها بالحبر الأزرق؟

لماذا هم سعداء هكذا غير مبالين بالفرق بين تلك المعيشة ومعيشة مليئة بالتكنولوجيا وعالم الإلكترونيات؟

نعم هم سعداء بسبب عدم وجود ذلك.

شردت قليلا ودمعت عيناي على الحال الذي وصلنا إليه ثم نظرت إلى السائق قائلة:

- من فضلك عد بي من حيث أوقفتك.

اندهش السائق ليعاود بي وفتحت حقيبتي لأعطيه حسابه ولكن النقود في حقيبتي هي نقود حديثة فماذا أفعل؟

عرضتها عليه فنظر إليّ بغضب شديد ونزل من سيارته ووقف أمامي وهو يصيح:

- كنت أشك في أمرك، والآن تأكدت أنكِ هاربة من مشفى الأمراض العقلية، ما تلك الملابس التي ترتدينها؟ ونظراتك العجيبة لكل شيء، وما تلك الأوراق التي تدفعينها مقابل الأجرة؟ هل هي لعبة ما؟ هيا أعطني النقود وإلا سلمتك للشرطة هيا...

ارتبكت بشدة وأمسكني هو من يدي فصرخت بقوة حتى أمسك بيده شخص ما ليرفعها من عليّ، كان هو... عز ولكن في شكل مختلف وملابس مختلفة.

ابتسمت حين رأيته وصاح في السائق بقوة وألقى في وجهه تلك النقود القديمة ثم أمسكني من يدي ليدخلني في العقار الخاص بشقتي.

دلفنا داخل الشقة ونحن في حالة من الصمت، ثم دفعني بكل قوة إلى الداخل وصاح بي:

- ما الذي أخرجكِ من هنا يا وصال، لقد نبهت عليكِ أكثر من مرة ألا تخرجي من باب العقار، وأرسلت إليكِ الحارس ليشتري كل شيء تريدينه، أم تريدين أن أصاب بالجنون من أفعالك مثلك تماما.

نظرت إليه في دهشة ثم قلت بصوت خافت:

- عز؟ .... أنت عز؟

ـ يا ألله عودة للجنون مرة أخرى، تعلمين لقد سئمت منكِ جدًّا ورفضت إدخالك المصحة العقلية منذ سنوات ولكن أعتقد أنه الموعد المناسب لفعل ذلك وخصوصا بعد قدوم عروسي الجديدة الجميلة.

دمعت عيناي وقلت بحسرة:

- عز... هل ستتزوج غيري؟

صاح قائلًا:

- عز مَن يا وصال؟ أنا شاكر السنهوري، أفيقي رجاءً من تلك الحالة، وزواجنا ليس إلا مصلحة من البداية لأحصل على هذا العقار من أبيكِ ليس إلا، والآن لا أحتاجك في شيء، أنتِ وأباكِ.

ـ ماذا؟ أبي على قيد الحياة؟

ـ لكِ أن تتخيلي ذلك.... حي يرزق وأتمنى أن يختفي وتختفي معه أنتِ أيضًا.

دمعت عيناي وشعرت بسعادة غريبة وطلبت من عز أقصد "شاكر" أن يأخذني إلى أبي ورفض ذلك بشدة وطلب منه الحضور لرؤيتي بشرط ألا يطول لقاؤنا ولا أدري لماذا.

بعد ساعتين طرق أحدهم الباب فأسرعت إليه ووقفت في حالة من الذهول والحزن في آنٍ واحد، لقد كان أبي هو من يطرق الباب، هو بشحمه ولحمه ولكنه يبدو أكبر في السن ويرتدي ذاك الشيء الذي يسمونه (الطربوش) على رأسه.

امتلأت عيناي بالدموع وارتميت بين أحضانه بقوة وضمني إلى صدره بحنان وقلق ثم نظر إليّ فوجدني أبكي بشدة فقال في دهشة:

- ما بكِ يا عزيزتي؟ ولمَ البكاء؟ هل فعل ذاك الحيوان شاكر أي شيء لكِ؟

أمسكت بيده وأنا لا أرفع عيني من على وجهه وما زالت الدموع تنهمر بقوة، جذبته إلى الداخل وجلست بجواره على الأريكة وكنت أحدق فيه بشوق ولهفة، صاح بي مرة أخرى:

- ما بكِ، ماذا فعل يا وصال أجيبي ولا تخشيه أبدًا.

استجمعت نفسي لأحاول التحدث معه وقلت في تلعثم شديد:

- أبي.. أنت هنا؟!

اندهش أبي وأومأ برأسه قليلًا فعانقته مرة أخرى وبعد لحظات قلت له:

- أبي قص عليّ ما حدث في الماضي، أريدك أن تخبرني كل شيء وبالأخص كل ما هو متعلق بعز... أقصد بشاكر.

سألني في ذهول:

- لماذا يا وصال؟ هل عدتِ لتلك الحالة مرة أخرى؟

- أي حالة؟

- تتوهمين أشياء غريبة، منذ أن فقدتِ أمك وأنتِ صغيرة تعيشين حالة مرضية ما بين الواقع والخيال وأحيانًا تغضبين بشدة وتثورين في وجه كل من كان حولك.

ساد الصمت للحظات لأستوعب ما يقوله أبي ثم قلت:

- أبي أخبرني كيف تعرفت على شاكر السنهوري وكيف تزوجت منه وهل لدينا أبناء؟

ـ حسنًا سأسير معكِ على نفس الخطى وسأخبرك بذلك حتى أرى ماذا بك؟! كنت أنا صاحب هذا العقار من قبل، فبعد وفاة صاحبه الأصلي الخواجة باولو وكل ورثته من أبنائه في تلك الحادثة البشعة....

قاطعته قائلة:

- حادثة الغرق صحيح؟

ـ نعم... طالما تعلمين كل شيء لماذا تودين أن أخبرك مجددًا؟

ـ أبي رجاء تحدث.

ـ "بعد وفاته لم تستطع زوجته العيش هنا مرة أخرى وقررت العودة إلى وطنها مجددًا وقمت بشراء العقار منها بثمن بخس وأردت أن أجدده قليلًا فتواصلت مع أحد المقاولين ليفعل ذلك، وكان هو شاكر السنهوري، قام بعمل اللازم لترميم العقار وكان يراكِ من حين لآخر معي وطلب مني الارتباط بكِ ولكنكِ رفضتِ في بداية الأمر ثم وافقتِ بعد ذلك حين تعثرت ماديًّا ووقفت تجارتي الخاصة بالعطور ولم أستطع سداد ديوني للبنك ولشاكر أيضًا، فأقترح عليّ أن يقوم هو بذلك مقابل التنازل عن العقار ولكنني رفضت، لأنه قدره بثمن بخس للغاية وكأنني سأهديه له.

ثم تزوجك ولكنكِ أبيتِ أن يلمسك بشكل تام وثار غضبه وأخذ يضربك كل ليلة، فزاد مرضك نفسيًّا وبدنيًّا من أفعاله وفي الوقت نفسه حجز البنك على كل أملاكي وكان بسببه أيضًا فلديه الكثير من العلاقات في البلد ومن بعدها باع البنك كل شيء في مزاد علني وفوجئت بأن المشتري لكل ما أمتلكه هو شاكر نفسه وحصل على العقار بهذه الطريقة الملتوية وبثمن بخس أيضًا كما كان يريد، لم يتبقَّ لي أي شيء والآن مقيم في غرفة بأحد الفنادق المقززة وحدي، فليس معي أي نقود سوى القليل الذي يطعمني ويسدد ثمن إقامتي بتلك الغرفة".

ساد الصمت للحظات قليلة وحدثت نفسي قائلة: "أيعقل أن يكون عز بتلك القسوة ويستغل من حوله هكذا؟ ولكن تذكري يا وصال أنتِ داخل لعبة، لو كان عز فعلًا في مثل جبروت شاكر لكرهته ألف مرة ولكنني أخشى إن عدت إليه بعد ذلك أنفر منه بسبب ما أراه الآن، ولكن شتان والأهم من ذلك وأجمل ما في تلك اللعبة أن أبي معي بعد أن فارقني وكأنني في حلم جميل كتلك الأحلام بشخص متوفى وكأنك تتمنى عودته للحياة مرة أخرى وتشعر بسعادة كبيرة حين تراه أمامك ثم تستيقظ على ألم فقده مجددًا".

صاح أبي:

- هيا أخبريني ماذا حدث؟

- لا شيء يا أبي، كنت أحتاج لسماعك ليس إلا فقد شعرت بالضيق والملل.

دلف علينا فجأة شاكر السنهوري ونظر إلى أبي في خبث ثم قال:

- ما زلت هنا أيها العجوز؟! تركتكما كثيرًا معًا اليوم ويكفيكما هذا الوقت، هيا أريد أن أرتاح قليلًا وقل لابنتك المختلة تلك كفاكِ جنون وألا تتخطى باب تلك الشقة لأرى ماذا سأفعل بها فيما بعد.

وقف أبي في إحراج شديد وأمسكت يده بقوة مشيرة إليه بعدم الرحيل، فترك يدي بنظرات مكسورة وتركني دون أن يتفوه بكلمة أخرى ثم رحل.

طلب مني شاكر أن أجهز الطعام له حتى ينتهي من تبديل ملابسه، وبعد لحظات طرق أحدهم الباب مجددًا وأسرعت لأفتحه فصاح بي للعودة إلى غرفة الطعام وفتح هو الباب ورحب بشخص ما وطلب منه التحدث معًا في الغرفة الخاصة بمكتبه وأغلق الباب عليهما.

أصابني الفضول لأرى ماذا يحدث ووقفت بجوار الباب الزجاجي أسترق السمع وكان صوتهما يشبه الهمس وكأنهما يتحدثان في أمر ما مهم جدًّا ولكنني سمعت بعض الجمل من هذا الحديث مثل (وماذا سأفعل يا مدبولي أفندي لقد وضعت يدي عليه لأستفيد منه بهذا الشكل.... استخدم بعض علاقاتك للموافقة.... كيف يجب أن أقوم بالإخلاء على الفور... حسنًا إذا كان الأمر هكذا سألجأ لطرق أخرى).

خرج المدعو مدبولي وترك "شاكر" يتأفف في غضب وظل جالسًا على مكتبه لفترة ثم خرج مجددًا من المنزل وكنت أتمنى ألا يعود.

جلست على فراشي أفكر في تلك الجمل التي سمعتها، من الواضح أنه أمر ما خاص بهذا العقار فماذا ينوي شاكر؟ ولماذا يريد إخلاءه فورًا؟!

استيقظت في فزع فجأة فقد غفوت في فراشي دون أن أدري من شدة التفكير وشعرت بضيقٍ في صدري فخرجت إلى الشرفة في هذا البرد القارص لأستنشق بعض الهواء المحمل برائحة المطر.

بعد لحظات وكانت الساعة وقتها بعد منتصف الليل لمحت "شاكر" يقف بسيارته وبجواره سيدة ما غريبة الشكل ولكنها تشبه تلك الخادمة شادية بعض الشيء وكانت تداعبه في دلال وضحكا معًا بشدة.

بعد لحظات وصل شخصان آخران كان منهما هذا المدعو مدبولي ومن الواضح أن "شاكر" كان ينتظرهما مع تلك السيدة؛ ما إن رآهما حتى رحب بهما بشدة ثم اصطحب الجميع إلى قبو أسفل العقار.

وقفت في حيرة، تُرى ماذا يفعلون في هذا الوقت المتأخر وكانت هيئة الرجل الآخر مريبة إلى حد ما وكان يرتدي ملابس غريبة الشكل كهؤلاء المشعوذين.

حدثت نفسي: "من الممكن أن يكون هناك أمر متعلق بلغز هذا العقار ولذلك عليّ بالتحرك لأرى ما يفعلون بالأسفل".

عزمت الأمر على الهبوط للأسفل وتسللت إلى القبو في هدوء، كانت الأجواء هادئة تمامًا عدا هذا الجو المتقلب والعواصف والأمطار الشديدة بالخارج.

كان هناك باب خشبي متهالك لهذا القبو وكانت هناك عدة ثقوب ما بين الأخشاب تتيح لي الرؤية من بينها فنظرت من خلال تلك الثقوب لألمح أي شيء ورأيت شيئًا غريبًا.

كان شاكر السنهوري يجلس مع بقية الأشخاص وتلك السيدة على هيئة دائرة وأشعلوا بعض الشموع على رسمة ما على الأرض رأيتها من قبل في كتب السحر وكل ما هو متعلق بتلك الأمور، كانت تبدو كالنجمة السداسية وكأنهم يقومون بعمل سحر ما.

ساد الصمت للحظات حتى بدأ الشخص المريب بينهم في ترديد بعض الطلاسم العجيبة وكأنه يستحضر كيانًا ما بعزيمة معقدة، انتظرت قليلًا لأشاهد ما سيحدث وفجأة صاح الشيخ قائلًا:

- "مرحبًا بك، نعتذر عن إيقاظك أيها الخادم".

هنا أيقنت أن ما يحدث أمر خطير وفتح البقية أعينهم في هلع ونظروا إلى بعضهم بعضًا وكان هذا الرجل المريب أو المشعوذ يتبادل الحديث مع الكيان غير المرئي بصوت خافت لم أسمعه بوضوح وفجأة انطفأت الشموع وساد الظلام المخيف.

حاولت جاهدة أن أرى أي شيء حتى شعرت بيد ما تمسك بكتفي بقوة فالتفت للخلف لأرى ما هو ثم صرخت بصوت عالٍ ومن بعد تلك الصرخة لم أشعر بأي شيء.

في صباح اليوم التالي وجدتني على فراشي، جلست في فزع ونظرت حولي وتذكرت ما حدث بالأمس، لقد رأيت هذا الكيان بأم عيني، هو من أمسكني من كتفي بقوة، كان أسود اللون، ضخم البنية، مخفي الملامح ولكن كان لديه عينان غائرتان لونهما أحمر وكأنهما مصابيح.

دلف شاكر السنهوري فجأة للغرفة فجلست معتدلة وكنت أرتجف بشدة، أمعن فيّ النظر للحظات ثم اقترب مني وجلس بجواري قائلًا:

- لقد غفوتِ لساعات طويلة، هل أنتِ بخير؟

اندهشت قائلة:

- ماذا حدث أمس بالقبو؟ لقد رأيتكم جميعا، وكيف استيقظت هنا في فراشي ومن حملني؟

اندهش شاكر وقال:

- أمس؟! لم يحدث أي شيء، فبعد أن تناولت طعامي جلست لأستمع لبعض الأغاني على الجرامافون وتركتني ودخلتِ غرفتك لتستريحي إلى تلك اللحظة.

صحت به:

- أنت تكذب، رأيتكم أمس وأنتم تفعلون شيئًا ما وأمسكني ذاك الكيان من الخلف وأصبت بنوبة ذعر وقتها، فماذا كنتم تفعلون ومن تلك السيدة التي كانت برفقتك؟

- عزيزتي لم يحدث أي شيء مما تقولين، يا وصال لقد توهمتِ مرة أخرى بسبب حالتك النفسية وبدأت أستاء من تلك الخرافات، سأذهب إلى المكتب ولأبتعد عن وجهك هذا.

بدأت أشياء مريبة تحدث في العقار منذ تلك الليلة، بدأت في سماع أصوات همهمة وكأنّ هناك أحدًا ما يتحدث إليّ ولكنني لا أراه وبدأت في سماع صرخات وعويل كالذئاب يأتي من بقية الأدوار جعلني حبيسة غرفتي طوال الوقت.

وبدأت حوادث مريبة تحدث مع قاطني العقار، كشقة تشتعل فجأة بالنيران لتلتهم كل ما بداخلها، أو كحديث البعض عن دماء تنهمر من كل صنابير المياه، وبدأ السكان في الهروب من العقار الواحد تلو الآخر بمقابل مادي قليل جدًّا وكأنهم يلوذون بالفرار بحياتهم من هذا العقار.

وفي يوم أتى مدبولي إلى الشقة لمقابلة شاكر كالعادة وتلصصت عليهما كالعادة حتى سمعت ضحكات شاكر وهو يقول:

- لنرى يا صديقي ماذا سيفعل الحي الآن بعد كل ما حدث وبعد ما ردده الناس حولنا بالجن الذي يسكن العقار ويحاول قتل كل من يقطن به.

ضحك مدبولي هو الآخر قائلًا:

-كانت فكرة شيطانية تلك التي قمنا بفعلها وبفضل عروسك الجديدة شادية كنا ما زلنا نفكر ونبحث عن حل ما، ذاك المشعوذ ظهر أمامنا في الوقت المناسب.

ـ حسنًا سنترك الأمور تسير كما هي تلك الفترة حتى يظل العقار خاليًا كما هو الآن ثم يتسنى لي الوقت المناسب لهدمه ومن بعدها أبدأ في تنفيذ حلمي الجميل في بناء فندق كبير على أحدث طراز في هذا المكان.

نظر شاكر السنهوري إلى باب المكتب فجأة فسأله مدبولي:

- "ماذا بك؟"

ـ وكأنني يا مدبولي لمحت شخصً ما أو خيالًا ما خلف الباب.

ـ يا رجل لقد بدأت العفاريت تراوغك هاهاها.

ـ أخشى ألا تكون تلك هي العفاريت، أظن أنها تلك العفريتة المجنونة وصال.

ـ لا أدري يا صديقي لماذا لم تتركها إلى الآن.

ـ لا أطيق وجودها في حياتي يا مدبولي وحان الوقت للتخلص منها، أخشى أنها تعلم ما أخفيه.

أسرعت إلى غرفتي في ذعر وقررت الذهاب لقسم الشرطة للإبلاغ عما يفعله.

في اليوم التالي ذهبت إلى القسم للإبلاغ عن النصاب شاكر السنهوري منذ أن تعرف على والدي وخطته للحد من قرارات الحي، وللأسف لم يصدقني الشرطي بعد سماع أقوالي وقرر مواجهتي بشاكر الذي اعترفت أمامه بممارسته للسحر الأسود الذي جعل كيانًا ما أو الجن يسكن ذاك العقار ويقوم بأفعال شيطانية فيه حتى يصاب الجميع بالذعر وجعلهم ينفرون من المكان ويستطيع بعد ذلك هدمه لبناء فندق بعد رفض الحي لقرار تغيير المنشأ الخاص به.

أخبر شاكر المحقق أنني مريضة نفسيًا وأرى وأسمع أشياء غير موجودة وقدم له الأوراق التي تثبت ذلك الأمر وطلب منهم وضعي في مصحة نفسية لأنني أصبحت أمثل خطرًا عليه وعلى أبي وكل من حولي.

فجأة وجدت اثنين من الممرضين يسيران تجاهي لتقييدي في ذاك الوشاح الأبيض الخاص بالمجانين، صرخت وبكيت بشدة لينقذني أحدهم ولكن دون جدوى حتى شلت حركتي تماما.

هل ستكون تلك نهايتي في هذا العصر القديم وبهذا الشكل البشع؟

لقد وقعت في فخ الجان وهذا ما جنيته على نفسي

"تبًّا لكِ أيتها البائسة التعيسة".

وجدتني فجأة في غرفتي مرة أخرى وعلى فراشي، ثم سمعت طرقًا عاليًا على الباب فهرولت لأرى من هناك لأجدها شادية ولأجد الرواق والسلم كما كان من قبل.

ابتسمت لي شادية في خبث قائلة:

- أتيت لأطمئن عليكِ يا آنسة وصال فلم تخرجي من شقتك منذ أربعة أيام وحين سألت الحارس أخبرني أنه لم يرَكِ، هل أنتِ بخير؟

علمت في تلك اللحظة أنني عدت لعالمي مجددًا، ولكن شعرت أن ما مر كانت أشهر وليس مجرد أيام، وسعدت بنجاتي وعودتي سالمة مرة أخرى ولعنت ذاك اليوم الذي قررت فيه خوض تلك اللعبة وقررت عدم الخوض فيها مجددًا.

شعرت بالجوع الشديد وخرجت من العقار لأتجول قليلًا وأتناول الطعام في الخارج وكان يشغل تفكيري كل ما حدث تلك الفترة وسرقني الوقت فعدت إلى المنزل في وقت متأخر.

جلست على فراشي ممسكة المجلد المخيف بين يدي وقررت التخلص منه حتى سمعت صوتًا يقول:

- إياكِ أن تفكري في هذا حتى، مَن بدأ المأساة فعليه إنهاؤها.

ارتجفت في ذعر ونظرت أمامي ليظهر فجأة شعضوض بهيئته المخيفة وكان يقف مبتسمًا في خبث ثم اقترب مني قائلًا:

- لماذا فكرتِ في التخلص مني على الرغم أنكِ حللتِ اللغز الأول وبسهولة؟

قلت بتلعثم:

- كانت تجربة سيئة لا أريد خوضها مجددًا.

- ولا تريدين "عز" حبيبك؟

- لا...... بل نعم... ولكن ليس عز ذاك الملقب بشاكر السنهوري، صحيح ماذا حدث بعد ذلك؟

قال شعضوض في خبث:

- أجيبي أنتِ.

ساد الصمت للحظات ثم قلت:

- لقد بدأت الأحداث المرعبة تتوالى في العقار بعد أن قام شاكر السنهوري بشرائه فكان يريد إثارة الجدل حول المبنى والتحدث عن تلك الأرواح المخيفة التي تسكنه، محاولًا الرد على حي شرق الإسكندرية الذي رفض تعديل تراخيص العقار من غرض سكني وظل الصراع قائمًا لعشرة أعوام ومن ثم ترك السنهوري البناء كخيال مآته لمدة ٧٠ عامًا قبل أن يقرر تحويله لفندق كبير.

توالت الأحداث المرعبة لكل من يقطن المكان منذ حادثة غرق صاحب العقار الأول هو وأبناؤه في ظروف غامضة وصولا إلى الزوجين الجديدين اللذين وجدا نفسهما عاريين في الشارع في اليوم التالي لسكنهما، وبعد أن يئس الورثة من تحويل المكان قرروا تجديده مرة أخرى على هذا الوضع الراقي وقبل أن يقوموا بذلك أتوا بمشعوذ آخر ليصرف الجن المستحوذ على المكان حتى يستطيع الناس العيش به مجددًا، هذا كل ما حدث.

همس شعضوض بخبث:

- أتظنين أنه انتهى أمر وجود الجن هنا.

أطلق ضحكات شيطانية ثم قال:

- انظري إليّ، فماذا أفعل هنا الآن؟ يا عزيزتي من الممكن أن يكون كل ما رأيته مجرد وهم أو حلم، من الممكن أن يكون كل ما انتشر عن هذا العقار مجرد خرافات ليس لها صحة ومن الجائز أن أكون أنا نفسي شيئًا ما افتعله خيالك المريض بالوحدة **أيتها البائسة التعيسة** ومن الممكن أيضًا أن يكون كل ذلك هو قلب الحقيقة.

صحت به قائلة:

- وماذا عليّ أن أفعل الآن؟

- في كل الأحوال ربحتِ يا عزيزتي وإليكِ أحد مفاتيح المكان الذي يسكن به حبيبكِ عز، "هنا وليس هناك حيث يكون الأجداد".

ابتسمت بسخرية قائلة:

- "عروستي يا شعضوض".

اقترب مني بأنفاسه الكريهة قائلًا بصوت مخيف:

- إنه مفتاح واحد وإذا لم تستطيعي فتح ذاك الباب فعليك تخطي اللغز التالي.

صحت بغضب:

- لغز آخر؟ لقد قلت لتوّك لغز يا شعضوض؟

- تلك هي اللعبة يا عزيزتي التي لا يمكن التنصل منها فإما المضي إلى الأمام وإما..........

تعالت ضحكاته الشيطانية واختفى فجأة من أمامي، وأخذت أصيح باسمه ليظهر مجددًا وأنا في حالة من الذعر حتى داهمني النوم لأستيقظ في الصباح وأجدني في مكان غريب.

تسمرت في مكاني ونظرت حولي هنا وهناك ولفت نظري وجود آلة التصوير الخاصة بي، فأين أنا الآن؟ وفي أي زمن حملني ذاك الخادم تلك المرة؟!

*****

شبح إسرائيل

انتفضت من الفراش لأتفقد الغرفة التي أجلس بها، أمسكت بآلة التصوير ونظرت إلى الغرفة، كانت تبدو كغرفة أحد الفنادق، مرتبة للغاية، وواسعة، بها فراش كبير وطاولة ودولاب كبير وحمام وكانت هناك شرفة يتسلل منها الضوء إلى الداخل فخرجت لأرى أين أنا لأجدني أمام بحر واسع وساحر، أمامه الكثير من المطاعم والمقاهي ومحلات للملابس وبازارات للهدايا المختلفة، وأناس كثر منهم من يرتدي ملابس السباحة ومنهم من يتنزه بين المحلات.

ابتسمت بشدة وشعرت براحة واستمتاع في هذا المكان، وأخيرًا جاء بي شعضوض حيث المتعة والسحر والخيال، إنها (دهب) ومن يأتي دهب عقله ذهب.

أعلم هذا المكان جيدًا فلقد رأيته كثيرًا عبر مواقع التواصل الاجتماعي وكنت أنوي زياراته في وقت ما والآن قد تحقق حلمي دون أن أتكبد عناء السفر إليه، ولكن ما اللغز المرتبط بهذا المكان؟ وما المخيف فيه؟

بالتأكيد لم يأتِ بي شعضوض لأستجم هنا

"**تبًّا لكِ أيتها البائسة التعيسة**".

خرجت من الفندق لأستكشف المكان حولي وحقًّا كان أكثر من رائع، جبال كثيرة متلاصقة تعانق السماء والبحر معًا في مشهد أبدعه الخالق، وتلك الصخور الصغيرة الملونة المتناثرة على الشاطئ زادت من سحره وجماله.

كنت قد سمعت من قبل عن بقعة ساحرة في دهب تسمى (البلو هول) أو مقبرة الغواصين أو ساحرة الغواصين نظرًا لغرق عدد من الغواصين المحترفين في تلك البقعة وقيل إنها تكونت عبر اصطدام شهب أو نيزك بالبحر وصنع تلك الحفرة العميقة واكتشفها قديمًا اليهود أثناء احتلالهم لأرض سيناء الساحرة وكانوا هم من يستمتعون بها فقط حتى تحررنا من احتلالهم واقتصر المكان على استقبال الأجانب فقط من كل الدول عدا نحن المصريين فلم نكن نعلم عنه شيئًا في ذلك الوقت حتى قام مجموعة من طلبة كلية الطب بزيارة المكان والغطس به، وانبهروا بجمال الطبيعة هناك وبالأخص الأسماك النادرة الملونة والشعب المرجانية ومنذ تلك اللحظة بدأ الطلبة في دعوة الجميع لزيارة المكان والتعرف عليه حتى أصبح مشهورًا بين المصريين وحقًّا إنه بقعة ساحرة ومميزة.

وقفت في المكان أتأمل جماله وقررت خوض تجربة السباحة داخل تلك البقعة الزرقاء فلن أفوت هذا الجمال، سحرتني ألوان الأسماك والشعب المرجانية وأنا أسبح هنا وهناك مطمئنة بوجود عدد من الناس حولي.

لمحت داخل تلك الحفرة في المياه كهفًا مظلمًا صغيرًا، لم أندهش فقد سمعت من قبل عن تلك الكهوف الموجودة بداخله ولكن هذا الكهف قريب من الشاطئ ولا يحتاج لعدة الغطس حتى أستكشفه وقررت الاقتراب منه قليلًا فكانت الأسماك مميزة دون غيرها بجوار الكهف.

دققت النظر في فتحة الكهف وشردت للحظات حتى لمحت شيئًا كبيرًا لونه أسود يتحرك في فوهته وظننته سمكة كبيرة أو كأنه أُخْطُبوط ضخم، أصابني الفضول واقتربت أكثر من فوهة الكهف لأرى ماذا هناك وبدأ ذاك الشيء في السباحة تجاهي وكأنّ لديه نوعًا من الشعر الكثيف يتناثر حوله، اقترب مني وفجأة ظهر أمامي بعينين مخيفتين تحملقان بي، كان شبح فتاة مرعب ترتدي ثوبًا أسودَ ممزقًا وشعرها أسود يتناثر حولها مع حركة المياه ووجهها شاحب تماما يميل إلى اللون الأزرق.

حاول الشبح الإمساك بي من رقبتي وكأنه يريد قتلي ولكنني قاومته بكل قوتي، وظل يجذبني ويجذبني للأسفل فبدأتْ ضربات قلبي تتسارع وبدأتْ أنفاسي تنقطع تمامًا فلم يكن معي أنبوبة أكسجين، لم يرَني أحد وشعرت أنها النهاية وسلمت نفسي لقدري.

بعد لحظات وجدتني على الشاطئ وتجمع حولي بعض الأشخاص ينظرون إليّ في قلق حتى صاح أحدهم:

- "حسنًا لينصرف الجميع لقد استعادت وعيها وتبدو بخير والحمد لله، هيا استمتعوا بوقتكم".

يبدو أنه الغواص الذي أنقذني وكان من العرب البدو هناك والغريب أنه كان يشبه "عز" تمامًا ونظرت إليه في دهشة وأنا أحدق في وجهه كالمجنونة ثم تذكرت "شاكر السنهوري" وأنه كان يشبه "عز" أيضًا، من الواضح أن شعضوض يتلاعب بي في كل لغز، ترى هل هو نسخة طيبة وحنون أم شريرة كشخصية شاكر؟ لأكتشف ذلك الآن.

اعتدلت في مكاني لألتقط أنفاسي بهدوء فنظر إليّ الغواص قائلًا:

- هل أنتِ بخير؟

أومأت برأسي فأردف قائلًا:

- اسمي ربيع، ويلقبونني بحارس المقبرة (أي مقبرة الغواصين) نظرًا لوجودي هنا منذ صغري ودائمًا ما أنقذ الغرقى مثلك تمامًا، كيف تسبحين إلى الأسفل دون معدات الغطس ودون إذن لكِ بذلك ومحذر أيضًا الغطس في الأعماق دون اصطحاب أحد الغواصين المحترفين فلولا أنني لمحتك بالصدفة في هذا الكهف بالأسفل لكنتِ في عداد الموتى الآن.

نظرت إليه في صمت وحدثت نفسي: " لو أخبرته بما حدث وما رأيته حتمًا لن يصدقني وسيظن أنني مجنونة".

قاطع صمتي قائلًا:

"تعالَي معي لتحتسي كوبًا من الشاي في المقهى هناك".

جلست في المقهى معه وبعد لحظات من الصمت سألته:

- "هل سمي هذا المكان بمقبرة الغواصين بسبب غرقهم بالأسفل مثلما حدث معي؟ وما سبب غرقهم على الرغم من احترافهم لتلك الهواية أو المهنة!

ـ المكان كما ترين ساحرٌ حقًّا وقد شخّص البعض غرقهم بسبب تعمقهم في الغوص فأصابهم الهلوسة والجنون حتى ينقطع عنهم الأكسجين، والبعض رجح أنهم يتوهون في الكهوف فلا يستطيعون العودة ويظلون جثثًا حبيسة لتلك الكهوف حتى يكتشف أحد ما غرقهم أو حتى تطفو جثثهم إلى الأعلى.

ـ وما رأيك أنت في ذلك؟

ـ هم يقولون ما يشاؤون ولكننا كأصحاب هذا المكان منذ نشأتنا لنا رأي آخر.

انتبهت له ولمعت عيناي وقلت بشغف:

- ما هو؟ ما سبب غرق الجميع هنا؟

ـ "قديمًا كانت هناك فتاة صغيرة في عمر السبعة أعوام تقريبًا، كانت ابنة أحد البدو الذين يسرحون أبناءهم لكسب رزقهم من السائحين في دهب من خلال مشغولات يدوية يصنعونها بأيديهم.

وفي يوم كانت الفتاة تمارس عملها في هذا المكان وكأي طفلة رأت الجميع يلهون في سعادة داخل المياه ورأت طفلة أخرى تشير إليها من الشاطئ لتلهو معها.

نزلت الفتاة الصغيرة في الماء دون أن يلمحها أحد فسقطت في البقعة الزرقاء فجأة وغرقت في الحال بعد محاولتها البائسة في طلب النجاة، وبعد موتها ظهر شبحها يصرخ هنا ليلا طوال الوقت ظانًّا أن الجميع تخلى عنها حين غرقت وبدأت في الانتقام من أي شخص يقع في براثنها بالأسفل من الغواصين".

ـ كان شعرها أسود طويل وكانت تبدو في هيئة البالغين وبشرتها بيضاء، وترتدي ثوبًا أسودَ حين غرقت، أليس كذلك؟

ضحك ربيع بسخرية قائلًا:

- لا لم تكن هكذا، معظمنا هنا أصحاب بشرة داكنة نظرًا لشدة حرارة الجو معظم الوقت وعملنا يتطلب تعرضنا لأشعة الشمس وكانت الفتاة صغيرة في الحجم جدًّا وشعرها لونه ذهبي قصير وكانت ترتدي في هذا الوقت حسب رؤية الشهود ثوبًا زاهيًا ملونًا عدة ألوان.

نظرت إليه في دهشة ولم أتفوه بكلمة وأنا أفكر فيما رأيته في الكهف وحدثت نفسي: "هل توهمت ذلك؟ أم كان أحد أشباح الغرقى هنا؟ أم جنية أرسلها شعضوض لي ليتخلص مني؟".

قاطع ربيع تفكيري وقال بدهشة:

- لماذا وصفتِها بهذا الوصف؟ هل رأيتِ أي شيء في الأسفل؟

أجبته سريعًا:

- "نعم".

ثم ترددت مرة أخرى فقلت بتلعثم:

- "لا أقصد لم أرَ أي شيء، لقد شعرت بالدوار قليلًا نظرًا لضيق التنفس بالأسفل، وعلى العموم شكرًا جزيلًا يا كابتن ربيع وأعتذر لك فعليّ العودة إلى الفندق الآن لأرتاح قليلًا".

وقف ربيع قائلًا أثناء مصافحتي:

- أين تمكثين هنا؟

- في فندق صغير يقع في الممشى السياحي اسمه (صن ست).

اتسعت حدقة عينيه وتسمر مكانه فسألته:

- ما بك يا ربيع؟

ارتبك قليلًا ثم ابتسم قائلًا:

- أبدًا.... لا شيء ولكنها مجرد صدفة فأنا أعمل في الممشى أيضًا، صاحب أحد البازارات هناك ويسعدني إذا شرفتني بالزيارة.

كان ربيع يرمقني بنظرات الإعجاب كتلك النظرات التي كان ينظر بها إليّ عز مع اختلاف لون البشرة وطريقة الكلام، ولكنه يبدو ودودًا والحمد لله، والآن بت أعرف ما المطلوب مني تلك المرة.

عدت إلى الفندق لأستحم وأبدل ملابسي لأتنزه قليلًا بعد كل ما رأيته في ذاك اليوم، وبينما كنت أستمتع بالمياه الدافئة المتساقطة على شعري بدأت درجة حرارة تلك المياه في الارتفاع بشكل كبير لدرجة أنها كادت أن تحرقني.

ابتعدت قليلًا محاولة تبريدها ولكن لم يتغير أي شيء وظلت في درجة حرارة الغليان حتى امتلأ الحمام بالبخار تمامًا فأغلقتها في النهاية وأنا أتمتم "**أيتها البائسة التعيسة**".

وقفت أمام المرآة أمشط شعري وكان يملأها بخار الماء فحجب الرؤية تمامًا، مسحته بيدي حتى أرى نفسي بوضوح، وما إن اتضحت صورتي رأيت ما يصيب القلب بالهلع.

كانت المرآة تعكس صورة لفتاة أخرى غيري، كانت هي تلك الفتاة التي حاولت قتلي في الكهف، تحملق فيّ بغضب وبوجهها الشاحب ونظراتها المخيفة التي يغلفها الموت، تسمرت في مكاني للحظات حتى صرخ شبح الفتاة في وجهي بقوة، فصرخت أنا أيضًا من شدة الذعر وخرجتُ من الحمام وأنا بالكاد أحرك قدمي وكأنها أصبحت ثقيلة تمامًا وجلست على الفراش ألتقط أنفاسي وساد الصمت التام للحظات حتى قطع هذا الصمت صوت غريب وكأن أحدهم يزحف على الأرض.

ابتلعت ريقي بصعوبة ثم نظرت بحذر إلى أسفل الفراش فوجدتها هي، نعم شبح الفتاة بشكله المريب يزحف على الأرض مبتلًا تمامًا وكان يترك خلفه على الأرض آثار المياه.

صحت بها وأنا أرتجف قائلة:

- من أنتِ؟ وماذا تريدين مني؟

اقترب الشبح مني ومن وجهي، وكنت أشعر بأنفاسه الحارة وكأنه التصق بي، فأغمضت عيني بقوة وأنا أردد "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"

بعد لحظات فتحت عيني وكان الشبح قد اختفى تمامًا ولكن ما زال هناك أثر المياه على الأرض، إذًا لم أكن أتخيل ذلك، والآن تأكدت أن اللغز متعلق بذلك الشبح ولكن ماذا يريد مني خادم الألغاز بالضبط وما هذا الرعب الذي يداهمني طوال الوقت، تبًّا للحب، ليت قلبي لم يرق يومًا وظل وحيدًا للأبد.

ارتديت ملابسي ثم أمسكت بآلة التصوير خاصتي وخرجت لأتجول في الممشى قليلًا وأخذت ألتقط بعض الصور للباعة ولفنانين يقومون بالغناء والعزف والرقص في كل مكان، كان الممشى ينبض بالحياة والسعادة.

وقفت أمام أحد البازارات ممسكة في يدي ثوبًا بدويًّا لفت انتباهي ثم سمعت صوتًا يقول بهدوء:

- "إنه شغل يدوي وسيكون أكثر من رائع عليكِ".

انتبهت للصوت ونظرت إلى الخلف فوجدته "ربيع" يقف مبتسمًا لي، اقترب مني ثم أمسك بالثوب وطلب مني أن أرتديه، شكرته قائلة:

- لا أرغب في شرائه أنا فقط جذبني التطريز الجذاب بألوان الخيط المختلفة ولكن لن يكون عمليًّا بالنسبة لي.

ابتسم ربيع ثم التقط من على طاولة صغيرة سوارًا ملونًا وطلب مني أن أضعه على يدي.

ابتسمت له وأخذت السوار وارتديته وساعدني هو على ربطه في يدي وقلت له:

- حقًّا إنه رائع ويبدو أنه شغل يدوي أيضًا، حسنًا سيكون ذكرى جيدة لمجيئي هنا، كم ثمنه؟

ـ متى سترحلين؟

اندهشت من سؤاله، فكرره عليّ مرة أخرى فارتبكت قليلًا ثم قلت:

- لا أدري، ربما بعض الساعات أو الأيام، ولكن حقًّا لا أدري.

ـ هل أتيتِ وحدكِ هنا؟

ـ نعم، أتيت وحدي وليس جديدًا عليّ فأنا هكذا منذ طفولتي.

ـ وجودكِ زاد المكان سحرًا وجمالًا يا........ لم أعرف اسمكِ حتى الآن، أم إنه سر من أسرارك؟

ابتسمت قائلة:

- أيّ سر؟ أنت لم تسألني من قبل، اسمي وصال إسماعيل.

ـ وصال.. وصال.. كم هو جميل اسمك في وصل الأحبة.

ارتبكت مرة أخرى ثم قلت:

- حسنًا كم ثمن السوار؟

ـ رجاء اقبليه مني كهدية بسيطة من أحد سكان المكان لتتذكريني به.

شكرته مرة أخرى ورحلت من أمامه حتى سمعته يقول:

- يا وصال أنتِ لست وحيدة هنا، فإذا احتجتِ أي شيء فربيع في وصلك مترقب مطيع.

كانت نظراته رومانسية جدًّا وابتسمت في خجل ثم عدت إلى غرفتي في الفندق محدثة نفسي: "شبيه عز ألطف من عز نفسه في هذا اللغز... اللغز؟ لقد نسيت أمره، أخشى أن يظهر الشبح مرة أخرى فكم أشعر بالتعب وأريد أن أرتاح ولو قليلًا".

بدلت ملابسي ونمت في فراشي، تارة أغمض عيني وتارة أخرى أفتحها في فزع عند سماع أي صوت، كنت أخشى أن تظهر أمام عيني فجأة وأخشى ألا يتحمل قلبي كل هذا الرعب.

مرت لحظات ولم يحدث أي شيء حتى غلبني النوم كالقتيلة من شدة الإرهاق.

استيقظت فجأة حينما تسلل ضوء الشمس إلى داخل الغرفة، جلست وأنا ممسكة بالسوار على يدي وابتسمت وكان كل شيء حولي يبدو هادئًا.

ثم وقعت عيني فجأة على آلة التصوير فوجدتها ملقاة على الأرض على الرغم أنني أتذكر جيدًا حين قمت بوضعها في أحد الأدراج خوفًا عليها من الكسر أو الخدش.

اندهشت لوجودها على الأرض ثم أمسكت بها وأخذت أقلب فيها يمينًا ويسارًا لأتأكد أنها سليمة، ثم فتحت الذاكرة لأرى إن كانت الصور التي التقطتها جيدة أم لا وكانت أكثر من رائعة وبدأت انتقل من صورة لأخرى أشاهدها في سعادة حتى لفت نظري شيء ما؛ لقد كان هو، عز أقصد "ربيع" كان موجودًا في معظم الصور، يظهر وكأنه كان يتعقب خطواتي وكان ينظر إليّ بحدة.

اندهشت كثيرًا فلماذا يفعل ذلك منذ اللحظة التي ظهرت بها هنا وماذا يريد مني؟

أكملت تصفحي للصور حتى صعقت فجأة مما رأيت؛ إنها صور كثيرة ولكني لم ألتقطها، كانت الصور تشبه ذاك الشبح في هيئته المخيفة وكانت في نفس الغرفة التي أسكن بها، وأدركت أن الفتاة كانت معي ليلة أمس وتريد إثبات حضورها بتلك الصور.

احترت في أمرها وفكرت في الذهاب إلى ربيع ومواجهته بتلك الصور التي يراقبني بها لعلني أصل لأي خيط لمعرفة هذا اللغز، وحدثت نفسي: " تبًا لكِ.... لا ليس أنا بل تبًا لكَ يا شعضوض".

قررت الاستعلام عن أي حادث وقع في الآونة الأخيرة أو قبل ذلك في الفندق وبالتحديد في تلك الغرفة ووقفت أمام موظف الاستقبال قائلة:

- صباح الخير.

ـ صباح الخير، تفضلي، ماذا تريدين؟

ـ أردت السؤال عن فتاة.... أقصد عن جريمة...

نظر إليّ الموظف في دهشة وكنت في حالة من الارتباك الشديد وسألني بهدوء:

- جريمة ماذا؟ وعن أي فتاة تتحدثين؟

كان هناك شخص يقف بالقرب منا ومن الواضح أنه أحد عمال النظافة في الفندق، كان يصب تركيزه على حديثي مع الموظف، فأعدت سؤالي مرة أخرى قائلة:

- أسأل عن أي جريمة حدثت في هذا المكان من قبل ليس إلا، فما الغريب في ذلك؟

تبدلت ملامح الموظف وكان يبدو عليه الغضب واقترب مني قائلا:

- لم يحدث إطلاقًا أي جرائم هنا منذ نشأة هذا المكان فلماذا تقولين ذلك؟

ـ حسنًا لا عليك.

تركته ورحلت فقد علمت أنني لن أصل لشيء معه، وأثناء خروجي تعقبني عامل النظافة وسمعت صوتًا من خلفي يقول:

- يا آنسة... انتظري.

ـ ماذا تريد؟

ـ لا شيء، سمعتك فقط وأنتِ تتحدثين مع موظف الاستقبال وذكرتِ شيئًا ما يتعلق بجريمة، أليس كذلك؟

لمعت عيناي فقد بدا عليه أنه يعلم شيئًا ما ثم قلت:

- نعم سألته عن أي جريمة قد حدثت في هذا المكان من قبل ولكنه أنكر ذلك.

أخذ العامل ينظر حوله بترقب ثم اقترب مني قائلًا:

- لقد حدثت جريمة بالفعل هنا منذ ثلاثة أعوام.

- ماذا حدث؟ أخبرني بكل شيء.

- أولًا عديني بألا تخبري أي شخص أنني أخبرتك عن هذه الجريمة.

- بالطبع أعدك لا تقلق.

- "كان هناك فتاة بدوية جميلة تتجول دائمًا في الممشى هنا لرسم الحناء لمن يريد وأحيانًا كانت تدخل الفندق لتسأل الزائرين عن رغبتهم في ذلك، وفي يوم ما كان هناك شخصان يهوديان يقيمان باستمرار هنا في شهر معين من السنة وهو بالتحديد شهر أكتوبر، كانا شابًا وفتاة، دلفت الفتاة البدوية من الباب وأخذت تسأل كل من يجلس في بهو الفندق عن رغبتهم في رسم الحناء حتى وصلت لتلك الفتاة اليهودية فرفضت أن ترسم أي شيء وبعد أن تحركت الفتاة الصغيرة من أمامها همس الشخص اليهودي إلى صديقته التي ترافقه ثم ضحكا بصوتٍ عالٍ وبعدها صاحت صديقته على الفتاة لتعود إليها وما إن عادت حتى قالت لها إنها تريد رسم الحناء ولكن في أجزاء معينة من جسدها فيجب عليها الصعود معها لأعلى في غرفتها.

ذهبت الفتاة معها فلم تخشَ أي شيء، المكان مكتظ بالناس والفندق مراقب وظنت أنهما زوجان فلم تمانع من ذلك وبالأخص بعد أن عرضت عليها بعض الدولارات مقابل الحناء، وبعد أن صعدت قاما بتقييدها وكتم أنفاسها ثم قام ذاك الحيوان اليهودي بالاعتداء عليها وظلت صديقته تشاهد ما يفعله في سعادة وبعد أن انتهى اكتشفا أن الفتاة المسكينة انقطعت أنفاسها وماتت في الحال بسبب العنف الشديد وكتم صرخاتها فلقد أمسكتها صديقته بقوة ولم تدرِ أنها تقتلها خنقًا".

دمعت عيناي ثم طلبت منه أن يكمل حديثه فقال:

- أبلغ ذلك الشاب اليهودي المدير بما حدث وأخبره أنه كان تحت تأثير المشروبات الكحولية وطلب أن يجد حلًّا لتلك الفعلة الدنيئة دون اللجوء للشرطة حتى لا تتشوه سمعة الفندق وينفر منه النزلاء وحتى يقيم عنده باستمرار ويقوم بدفع دولارات أكثر وأيضًا أخبره أنه ابن شخصية سياسية كبيرة في إسرائيل وفي حالة تداول أمر الجريمة سيحدث عواقب وخيمة قد تتدخل بها الحكومة الإسرائيلية وتصبح مسألة سياسية دولية.

لقد استطاع الشاب المجرم إقناع المدير بذلك الأمر الذي طلب في الحال اثنين من الأمن يثق بهما، أمرهما بنقل جثة الفتاة وإلقائها في أعماق البحر وبالفعل نفذا أوامره وانتهت تلك المأساة منذ ذلك الوقت، ولكن ما يشغلني هو لماذا تبحثين في هذا الموضوع وكيف علمتِ بأمر تلك الجريمة؟".

ابتسمتُ ولكنها كانت مجرد ابتسامة يغلفها الألم، وشكرته بشدة ووعدته ألا أخبر أحدًا بما حكاه أو أنني علمت بأمر الجريمة من خلاله، ثم صعدت لغرفتي بالفندق مرة أخرى محدثة نفسي: "حسنًا لقد علمت بأمر الجريمة الآن ولمَ يظهر شبح الفتاة لي هنا وفي أعماق البحر، وأعتقد أنه بترتيب من ذلك الخادم الجني والآن وقد حللت لغز تلك الفتاة المسكينة فلماذا لم أعد أدراجي، هيا يا شعضوض أعدني فقد حللت اللغز.

مرت ساعات وأنا أجلس في غرفتي أنتظر عودتي لبيتي ولكن دون جدوى فسألت نفسي: "أيمكن أن يكون هذا الأمر متعلقًا فقط باللغز وليس هو اللغز ذاته؟ وكيف لي أن أعلم ولكن إن لم أعد إلى بيتي حتى الآن فبالتأكيد هناك أمر ناقص في تلك الحالة".

ذهبت للتجول في الممشى قليلًا ثم سمعت صوتًا فجأة يصيح بي:

- "يا وصال".

كان هو ربيع يجلس في البازار الخاص به فذهبت إليه وطلب مني أن أجلس معه لبعض الوقت ليستأنس بي، تبادلنا الحديث معًا لبعض الوقت وكنت شاردة معظم الوقت فسألني:

- ما بكِ؟

- لا شيء يا ربيع كثرة تفكير وشعور بالوحدة ليس إلا.

- هل تعيشين وحدك؟ وتقبلي اعتذاري إن سألتك عن خصوصياتك.

ـ نعم.. أعيش وحيدة تمامًا، بلا أهل، بلا أصدقاء وبلا أحبة.

ـ وهل تعمدتِ العيش هكذا؟

ـ أظن أن أي شخص عاقل يرفض أن يعيش وحيدًا تمامًا ولكنني حوصرت في تلك الوحدة بعد وفاة والديّ وأختي في حادث بشع وليس لدي أحد، ولا أشعر بالراحة تجاه فكرة الصداقة، لدي قناعة أنها مجرد علاقات مزيفة وفانية، لن يصدقك القول والفعل إلا أهلك المقربون وهم بالتحديد (الأب والأم) وأحيانًا الإخوة وغير ذلك مجرد أضحوكة أو كذبة كبيرة، هناك من يقول لك أحبك ولن أتركك وبجانبك دائمًا وبداخله حقد وغيرة تجاهك وملل أيضًا.

ـ لكن يا وصال ليس الجميع هكذا، فلو أنتِ فتاة مخلصة تحبين الخير للجميع وتفصح عما بداخلها بصدق فاعلمي أن هناك من يشبهك في تلك الصفات، المشكلة ليست في البشر أنفسهم، المشكلة تكمن في الأشخاص الذين نختارهم نحن بأنفسنا ليكونوا برفقتنا.

ـ أتعني أن المشكلة تكمن فينا وليس هم.

ـ نعم.. فكري بالمنطق لبعض الوقت، إن كنتِ مثالية وترين نفسك هكذا فهناك من يرى في نفسه تلك المثالية أيضًا وغيره وغيره...... فهمتِ.

ـ فهمت، لديك قدرة لا بأس بها على الإقناع ولكن لم تخبرني هل تعيش وحدك أنت أيضًا أم لديك أسرة؟

شرد ربيع للحظات ودمعت عينه فجأة ثم قال:

- لست وحيدًا بشكل كامل فأنا أعيش مع أبي وحدنا في منزل صغير بعد أن تركتنا أختي ومن بعدها أمي.

- كان لديك أخت إذًا؟ هل كانت كبيرة في السن؟

- لا، كانت أصغر مني بكثير ولكن شاء القدر أن يأخذها مني.

- هل كانت مريضة؟

تنهد ربيع ثم قال:

- لكِ أن تتخيلي بأن من ينقذ الناس ويعد هو أشهر غواص في المكان يموت أعز من لديه غرقًا في مكان عمله.

اندهشت مما قال وسألته:

- كيف حدث ذلك؟

- "لا أدري، هي كانت تذهب كل يوم مثلها كبقية فتيات البدو ولكنها كانت أجملهن، كانت ترسم الحناء للفتيات وتتجول هنا وهناك حتى صلاة المغرب وفي يوم ذهبت ولم تعد وأخذنا نبحث عنها أنا وأبي وأمي وسألنا كل من يعرفها عنها ولكن لم تظهر، وبعد مرور ثلاثة أيام وجدتها أنا أثناء ممارسة عملي في الغطس مع السياح كانت عالقة في الأعماق بين الشعب المرجانية وتتنافس الأسماك على التهامها، كان شيئًا مرعبًا ومؤلمًا بالنسبة لي وقد شوهت تمامًا ولكنني علمت بأنها أختي من رسمة كانت على يديها وتبقى منها أثرها وبعد انتشال جثتها وتحليل الحمض النووي الخاص بها تأكدنا من ذلك.

لا ندري كيف سقطت هناك وظننت أنها صعدت على يخت مع السياح وسقطت دون علمهم فليس لدي تفسير آخر وسألنا الجميع ولكن لا أحد يدري بما حدث.

توفيت أمي بحسرتها بعد ذلك وبقينا أنا وأبي وحدنا نستأنس ببعضنا بعضًا ولكنه لم يعد بصحة جيدة وينام بفراشه طوال الوقت وأنا كالوحيد رغم وجود الكثير حولي فكل ما حدث حولني لشخص قاتم من الداخل ولا أدري حتى تلك اللحظة لما حدث معي كل هذا".

قلت بحزن ودهشة:

- ولكنني أعلم.

تعجب ربيع مما قلت وسألني:

- ماذا تقصدين؟

تلعثمت قليلًا ثم وقفت فجأة وقلت له:

- أقصد أعلم أنه القدر هو من فعل بك كل ذلك فكن مؤمنًا دائمًا بما يكتبه الله لك مهما كان قاسيًا، أنت فقدت أختك ووالدتك وأنا فقدت من قبل أمي وأبي وأختي دفعة واحدة ولا تندهش من فقداننا لأنفسنا بعد ذلك، أراك على خير يا عز أقصد يا ربيع".

عدت إلى الفندق وأنا أعنف نفسي:

"لمَ لم تخبريه بالحقيقة أيتها البائسة؟

كنتِ أنانية جدًّا يا وصال، هربتِ منه بعد أن حللتِ لغز تلك الفتاة المسكينة وبعد أن علمتِ سر علاقته بها، ولكن لمَ أنا هنا حتى الآن؟

يا شعضوض....

هيا يا شعضوض أخرجني".

قاطعني صوت يشبه فحيح الأفعى يأتي من خلفي وأنا جالسة على الفراش، ابتلعت أنفاسي وحركت رأسي بهدوء لأرى ما هذا الصوت وحينما التفت وجدتها هي بهيئتها المرعبة كعادتها وثوبها الممزق وشعرها المتناثر، كانت تتساقط منها المياه وتفوح منها رائحة مقززة جدًّا وكانت تنظر إليّ بعيون غاضبة وكأنها تتهيأ لتقبض روحي.

تسمرت في مكاني ثم أحكمتْ قبضتها على فمي ورقبتي فحملقت بذعر وحاولتُ التخلص منها ولكنها كانت أقوى من مائة رجل وانقطعت أنفاسي فجأة وساد الظلام التام فظننت أنني مت ولكنني فقدت الوعي فقط حتى صباح اليوم التالي.

لم أعد لبيتي بعد وعلمت بأن عليّ أن أخبر "ربيع" بأمر أخته حتى يتسنى لي العودة وكأنها ليلة أمس كانت تخبرني أن أشرح لأخيها كيف ماتت وهي تختنق وتتألم.

كان ربيع كالعادة في الصباح يجلس في محمية البلو هول، فذهبت إليه وأخبرته بأن علينا التحدث معًا في أمر مهم وجلسنا وحدنا، ترددت لبعض الوقت ثم أخبرته بكل شيء من لحظة وصولي للمكان وظهور شبح أخته في تلك الغرفة وفي أعماق المياه وأن أخته تريده أن يعرف كيف ماتت ومن الذي قتلها.

انهار ربيع بشدة وظل يصرخ ويصرخ وحاولت جاهدة أن أهدئ من روعه ولكن صدمته كانت قوية جدًّا، وبعد مرور بعض الوقت جلس يبكي أعلى الجبل وجلست بجواره لأواسيه فنظر إليّ بحزن قائلًا:

- يشاء القدر بعد مرور ثلاثة أعوام على تلك الحادثة أن تظهري أنتِ ويحدث كل ما حدث لتخبريني بما حدث مع حبيبتي الصغيرة ولكن لمَ لمْ تأتِ لي أنا كما ظهرت لكِ وتخبرني بكل شيء ما دامت تظهر في هيئة روح؟ لماذا أنتِ بالتحديد يا وصال؟ فلم يذكر أحدهم أنه رأى شبحًا هناك من قبل.

ابتسمت بسخرية وقلت له:

- تلك حكاية طويلة يا ربيع، وأنا مميزة عن غيري بعض الشيء فأستطيع رؤية وسماع ما لا يراه أو يسمعه أحد غيري ولكن من الممكن أن يكون رآها أحدهم من قبل وفر من المكان دون أن يعترف، أو أنّ أحدهم ظن أنه يتوهم ذلك، أنت تعلم جيدًا أن العقول والقلوب تختلف عن بعضها البعض".

ـ نعم أعلم ذلك ولكن ما فائدة ما عرفته الآن، القاتل من اليهود وفي مكان ليس لدي علم به وليس هناك فائدة من اعتراف المدير فلن تستطيع الشرطة أيضًا القبض عليه وعلى صديقته الحرباء، لقد ضاع حق أختي الغالية بسبب هذا الحيوان اليهودي.

بكى بشدة مرة أخرى فربتُّ على كتفه قائلة:

- هناك شيء مهم يجب أن تعرفه، لقد علمت من العامل أن هذا الشخص يأتي بشكل دائم إلى هنا في شهر معين في السنة.

ـ حقًّا يا وصال... ولمَ لم تخبريني من قبل، حسنًا في أي وقت يأتي إلى هنا؟

ـ في أي شهر نحن، في شهر يناير أليس كذلك؟

ـ يناير!... كيف يا وصال نحن في شهر أكتوبر.

اندهشت بشدة ولم أشأ أن أسأله عن السنة فلن ينفع السؤال ثم أخبرته أننا في نفس الشهر الذي يزور فيه هذان القاتلان المكان.

طلب مني ربيع مساعدته وتوسَّل إليّ من أجل ذلك فوافقت.

طلب مني أن أسأل عن هذين الشخصين وأرى ماذا يفعلان طوال اليوم.

سألته عما يخطط له فطلب مني أن أتعرف عليهما وأستدرجهما إليه ليس إلا.

في نهاية اليوم وجدت عاملة الإشراف الداخلي تمر بين الغرف، فأعطيتها بعض النقود إكراميّة لها وجذبت منها الحديث لبعض الدقائق حتى سألتها عن وجود يهوديين في الفندق فأجابتني بوجود الكثير منهم، فسألتها:

- هل هم أسر وأصدقاء؟

- إنه كذلك.

- هل بينهم مَن يزور المكان هنا بشكل دائم كل سنة؟

فكرتْ للحظات ثم قالت:

- نعم هناك أسرة كبيرة مكونة من سبعة أفراد تأتي باستمرار إلى هنا، وهناك أيضًا زوجان أراهما كل سنة منذ أن التحقت بالعمل هنا.

لمعت عيناي وسألتها:

- في أي غرفة يقيمان؟

- في غرفة بعد الرواق الخلفي لغرفتي ولكنني لا أطيق المرور من تلك الغرفة فهما دائمًا في حالة من السكر والقذارة ويقومان بفعل حركات تخدش حياء من يراها ويفعلان ذلك أمام الجميع ولا أدري لمَ لا يطردهما المدير من هنا أو من سيناء كلها، لمَ يتركهما يتمتعان هكذا بجمال اختصه الله بأرضنا نحن، كم أتمنى أن يموتوا جميعًا ويتلاشوا من على كوكب الأرض.

ابتسمت قائلة:

- جميعنا نتمنى ذلك، هيا أسرعي في تنظيف الغرفة حتى أعود.

خرجتُ من الغرفة حتى الرواق الخلفي لألمح هذين الشخصين ولكن كان الرواق هادئًا تمامًا فقررت الجلوس في البهو قليلًا لعلهما في مكان ما وسيصلان بعد قليل.

وبينما كنت في طريقي للدرج الداخلي الخاص بالغرف لمحت شابًّا وفتاة هيئتهما توحي بأنهما يهوديان، رسومات الوشم تملأ كل جزء في جسدهما وكأنهما لوحة ورقية وكان لدى الشاب لحية صفراء طويلة ويرتدي تلك القبعة السوداء الصغيرة أعلى رأسه وكانا يتبادلان الحديث معًا باللغة العبرية.

ابتسمت ومررت بجوارهما وركزت بنظراتي في عيون ذلك الشاب حتى ينتبه لي، نظر إليّ بإعجاب ثم غمز لي بعينه فرحلت من أمامه في دلال.

في موعد العشاء جلست في المطعم الخاص بالفندق وكنت شاردة تمامًا في كل ما حدث، حتى ظهر هذا الشاب وكان بصحبته تلك الفتاة، جلسا أمامي وكأنه تعمد الجلوس في تلك الطاولة وأخذ يرمقني بنظراته والغريب أن الفتاة لم تعِره أي اهتمام.

تناولت طعامي ثم وقفت لأحضر لي كوبًا من الشاي فوجدته يسير خلفي ثم وقف بجواري ليصنع كوبًا من الشاي مثلي، ألقى التحية عليّ قائلًا:

- "مرحبًا".

ابتسمت قائلة:

- "مرحبا، تتحدث اللغة العربية؟".

ـ نعم، وبطلاقة فأنا آتي لزيارة مصر كل سنة وأجلس هنا لمدة شهر، ومن كثرة زياراتي وعلاقاتي مع المصريين أتحدث بطلاقة وأيضًا نحن نحب المصريين كثيرًا.

قالها بخبث شديد وشعرت بالاشمئزاز أثناء حديثي معه ولا أدري لماذا يتمتعون مثل هؤلاء بجمال بلدنا ويأتون لزيارتها كيفما شاؤوا، لو كنت صاحبة قرار في ذلك لحرمت عليهم لمس ترابنا بقدمهم الملوثة مدى الحياة.

قاطعني ذاك الشاب فانتبهت له وهو يصافحني بيده قائلًا:

- أنا إلياس، وأنتِ؟

ـ أنا وصال.

ـ سعدت بلقائكِ يا وصال وأتمنى أن أراكِ مرة أخرى في الجوار.

رحلت وأنا أكاد أنفجر من الغيظ وذهبت إلى ربيع في البازار وجلست بجواره وأخبرته عن هذا الشاب إلياس وسألته عن كيفية مساعدته، شرد قليلًا ثم قال:

- أريدك أن تستدرجيهما حيث عملي في محمية البلو هول وأنا سأتكفل بهما بعدها.

ـ ماذا تنوي يا ربيع؟

ـ لا شيء يا عزيزتي سوى حق أختي المسكينة، "داين تدان والعين بالعين".

في صباح اليوم التالي جلستُ في البهو أنتظر ظهور إلياس وفتاته وبعد قليل ظهرا معًا وكانا يمازحان بعضهما بعضًا فلمحني إلياس واقترب مني ثم صافحني هو وتلك الفتاة وكانت تدعى ليزا، رحبت بهما وطلبت منهما شرب القهوة معًا.

كانت ليزا تجذب إلياس من يده وكأنها في عجلة من أمرها فسألته إن كانا مشغولين وأنا أعطلهما، فأجابني:

- لا شيء فقط تريد ليزا الذهاب إلى إحدى المحميات لنسبح قليلًا هناك.

لمعت عيناي وابتسمت لهما قائلة:

- إلياس أنا هنا وحدي ولا أجد أحدًا ليكون برفقتي، هل من الممكن أن تصحباني حيث تذهبان؟

نظر إلياس إلى ليزا ليرجوها بالموافقة.

ابتسمت ليزا بخبث وأشارت إليّ بالذهاب معهما فسألتهما عن المكان الذي ينويان الذهاب إليه فقال إلياس:

- أي محمية هنا وأعتقد محمية (ثري بولز) مناسبة لنا كمجرد هواة غير محترفين.

قلت له بخبث:

- هل مارست السباحة والغطس في محمية البلو هول؟

فتح فمه بدهشة ثم قال:

- لا.. لا أريد الذهاب إلى هناك، هذا المكان ملعون ويحدث به الكثير من حوادث الغرق.

ضحكتُ بسخرية ثم قلت:

- لقد صنفت تلك المحمية بأنها أفضل مكان للغوص في العالم وبغض النظر عن الحوادث التي وقعت به فلها أسباب منطقية معينة ولا تعنينا في شيء، فقط نحتاج إلى غواص ماهر ليكون معنا هناك، ما رأيك في خوض تلك التجربة يا إلياس؟

- لدي فضول للذهاب إلى هناك ولكن أشعر ببعض الخوف.

ضحكت بسخرية قائلة:

- تخشى المكان أم أشباح مَن غرقوا فيه؟

نظرت إليّ ليزا في غضب وشرد إلياس قليلًا ثم قال بتحدٍّ:

- سنذهب معًا إلى هناك، هيا.

شعرت بسعادة كبيرة ولا أعلم لمَ كل تلك السعادة.

بعد قليل وصلنا بسيارة الدفع الرباعي وكان لها متعة غريبة أثناء تحركنا بها وعند وصولنا نظر كلّ من إلياس وليزا إلى المكان حولهما بتعجب ودهشة وأخذ إلياس يردد:

- رائع ومدهش.

لمحت "ربيع" يقف من بعيد وينظر إلينا فأشار إلي دون أن يلمح أحدهما، فابتسمت قائلة:

- إلياس هيا لا نريد أن يضيع الوقت في مشاهدة المكان فهناك أشياء أجمل وأروع تحت الماء علينا أن نشاهدها، هيا.

ضحك إلياس وأمسك بيدي، ويد ليزا من الجهة الأخرى وتوجهت بهما حيث يجلس ربيع وألقيت عليه التحية وكأنني لا أعرفه.

كان ربيع يحدق في إلياس بغضب شديد مما جعله يشعر بالتوتر فقال لربيع:

- ما بك يا صديقي؟ يبدو وكأنك لا تحب وجودي هنا، هيا يا وصال لنجلس ونستعد للغوص ولكن في مكان آخر.

جذبته من يده قائلة:

- لا يا إلياس، دعنا نجلس هنا ونرتدي ملابس الغطس ولا عليك منه، أنت تعلم أن بعض المصريين لا يتقبلون وجودكم هنا حتى لو على سبيل السياحة.

نظر إلياس إلى ربيع وابتسم في خبث قائلًا:

- أتدري أنا ابن شخصية مهمة جدًّا في إسرائيل وإن رافقتني أثناء الغوص في البلو هول سأكافئك بنقود كثيرة، هل أنت غواص محترف أم مثلنا؟

ضحك إلياس بشدة ليمازح "ربيع" الذي ظل على حاله بنظراته الغاضبة.

تمايلت تجاه ربيع وهمست في أذنه:

- رجاء تعامل بشكل طبيعي معه حتى نرى ماذا ستفعل بعد ذلك.

نظر إلياس إليه وابتسم قائلًا:

- أتعلم قصة الشاب الإسرائيلي الذي غرق هنا منذ سنوات عديدة وبحث عنه الجيش الإسرائيلي في كل الشواطئ وما بين الصخور والشعب دون جدوى، ولم تستطع الضفادع البشرية أن تعثر عليه حتى إنهم أرسلوا "روبوت" ليبحث عنه تحت الماء ولكن لم يفلح الأمر، تخيل من أخرج جثمانه وسلّمه في النهاية!

نظر إليه ربيع في غيظ قائلًا:

- أخرجه غواص مصري بدوي هنا، لا تخبرني عن حكايات هذا المكان، كل سيناء إرث لنا بتراثها وحكاياتها وشواطئها وكل شيء، فلا تروِ لي قصصًا حفظتها من أجدادي عن ظهر قلب.

اندهش إلياس من طريقته الفظة ثم قال:

- أخبرك تلك القصة كي تفهم أنكم دومًا تمدون يد المساعدة لأي شخص دون النظر لهويته وجنسيته.

حاول ربيع جاهدًا أن يبتسم ثم قال بخبث:

- حسنًا سأصحبك في جولة مميزة في أجمل بقاع الأرض هنا وسترى أروع شيء في الوجود.

ارتدينا الزي الخاص بالغطس وطلب مني ربيع المكوث في موقعي وألا أذهب معهم ولكنني رفضت فأنا من أقنعهما في البداية بالقدوم إلى هنا.

كان المكان آنذاك هادئًا وغير مزدحم كالعادة فلم يلاحظ أحد وجودنا إلا بعض البدو الذين يعملون هناك ولكنهم كانوا منشغلين ببعض السائحين معهم.

نزلنا جميعا في مقبرة الغواصين الرائعة، شعرت برجفة خفيفة في البداية ولكنني هدأت من روعي بعد ذلك، سبحنا كثيرًا وكان يبدو على إلياس وليزا الدهشة والسحر، استدرجهما ربيع عند كهف عميق في الأسفل وكانا يتعقبانه بحماس ولكنني شعرت بقبضة في صدري حينما تذكرت ما حدث معي في تلك البقعة وتوقفت مكاني دون حراك.

أشار إلي إلياس بالمضي قدمًا ولكنني رفضت، وبعد لحظات وجدت "ربيع" يحوم حولهما بشكل غريب وفجأة أمسك بخزانات الأكسجين الخاصة بهما وفصلها وسحب الأنبوب من فمهما حاولا أن يعيداه ولكن ربيع أمسك بهما بقوة واشتبك مع إلياس الذي حاول سحب أنبوب ربيع من فمه هو أيضًا وأمسكت به ليزا من الخلف ولكن ظهر عليها الاختناق.

حاولت الاقتراب لأنقذ "ربيع" من يديهما ولكن قبل أن أصل إليه رأيت شيئًا ما يظهر من فتحة الكهف.

كانت هي... شبح تلك الفتاة الذي يظهر لي دائمًا، كانت في ثوبها الأسود الممزق وشعرها يتطاير حولها وعلى وجهها ولكنه كشف عن عينيها الغاضبتين المخيفتين ولون بشرتها الشاحب.

تسمر الجميع في مكانهم ونظر إليها ربيع في ذعر ودهشة وحاول كلّ من إلياس وليزا الهروب بالصعود إلى أعلى ولكن شبح الفتاة جذبهما معًا من قدميهما حتى فتحة الكهف ووقفت أنا وربيع نشاهد ما يحدث في هلع حتى اختفى إلياس وليزا مع الشبح داخل الكهف.

كنا قد تسمرنا في مكاننا ولا ندري ماذا نفعل وبعد لحظات ظهر شبح الفتاة مرة أخرى برأسه عند فتحة الكهف ونظرت إلينا في غضب ثم صرختْ تحت الماء بصوت مرعب فصرختُ أنا الأخرى من بشاعة الحدث حينما ظهرت بعض أشلاء إلياس وليزا فجأة واختلط لون المياه الفيروزي باللون الأحمر.

من شدة صراخي سقط أنبوب الأكسجين من فمي وحاولت الإمساك به ولكنني كنت أرتجف بشدة وآخر شيء وقعت عيني عليه هو وجه ربيع وكان في حالة من الذعر والخوف وكان يسرع تجاهي محاولًا إنقاذي ثم غبت عن الوعي تمامًا.

فتحت عيني وظننت أنني فارقت الحياة فشهقت بقوة لأخرج أنفاسي وفتحت عيني لأجدني على الفراش.

اعتدلت لأرى أين أنا، لم أكن في غرفتي بالفندق كما ظننت ولم أكن في منزل ربيع أيضًا، كنت هنا على فراشي المعتاد في بيتي.

نظرت حولي لأتأكد من وجودي هناك وسألت نفسي: "هل كل ما حدث حقيقي أم مجرد حلم؟".

وجدت ملابسي مبتلة والعرق يتساقط بشدة من أعلى رأسي حتى صدري، كاد يصيبني الجنون وقلت لنفسي: "ماذا حدث لكِ أيتها البائسة التعيسة؟"

حتى جاءني هذا الصوت الذي أعلمه جيدًا، صوت شعضوض قائلًا:

- لقد عدتِ يا وصال لشقتك.

نظرت حولي في ذعر فوجدته يقف بهيئته المخيفة بجوار فراشي فلملمت جسدي بهلع ونظرت إليه قائلة:

- هل ما حدث......

قاطعني قائلًا:

- لقد قمتِ بمغامرة أخرى ولغز جديد وتفوقتِ على نفسك، كم أنتِ تتمتعين بقلب قوي يا فتاة، ولكن ما رأيك في تلك الجولة الرائعة؟

تلعثمت قائلة:

- هل كان لغزًا أم جريمة؟

اقترب مني بأنفاسه الكريهة قائلًا:

- كان لغزًا وجريمة، قتْل الفتاة من قبل يهودي لم ينَل عقوبةً جريمة، وظهور الشبح لكِ أنت دون غيرك لغز.

تنهدت بضيق قائلة:

- حسنًا هل انتهينا الآن؟

أطلق شعضوض عدة ضحكات مخيفة وقال:

- إذا استطعتِ معرفة مكان حبيب قلبك عز وقتها ينتهي كل شيء.

- ولكن كيف لي أن أعرف؟

- إنه هناك حيث المياه العذبة، حيث منبع التاريخ.

- لغز آخر؟!

- جمعي المفاتيح معًا ووقتها ستجدين فك شفراته.

- أتعني المفتاح الأول كما ذكرت وهو "هنا وليس هناك حيث يكون الأجداد، حيث المياه العذبة ومنبع التاريخ"... كيف لي أن أفك تلك الشفرات يا شعضوض إنها صعبة جدًّا، رجاء أعطني مفتاحً آخر.

ابتسم شعضوض بخبث قائلًا:

- كل لغز معه مفتاح حتى تجدي الإجابة، إلى المغامرة الجديدة يا فتاة.

قالها شعضوض وهو يطلق ضحكات شيطانية، أردت أن يمهلني بعض الوقت لأنعم بقسطٍ من الراحة في فراشي وبيتي الهادئ ولكن قبل أن أكمل كلماتي في التوسل وجدتني في مكان آخر عجيب.......

❋❋❋❋❋

مدينة الجن

ما تلك الملابس التي أرتديها؟

وما هذا المكان العجيب الذي أجلس به؟!

كنت في حالة من الذهول حينما وجدتني فجأة في مكانٍ عجيبٍ كالعادة، أتى بي شعضوض في تلك المرة في مكان يشبه الخيمة البدوية.

كنت أرتدي ملحفة سوداء تغطي الثوب الذي كنت أرتديه أسفلها، وعلى رأسي وشاح أسود مزين، كنت أجلس في الخيمة وحدي فقررت الخروج من الخيمة لكي أستكشف أين أنا تلك المرة.

مساحة كبيرة من الرمال الصفراء حولي، وعلى جانبي الخيمة مجموعة من الخيم الأخرى، أطفال صغيرة ترتدي زيًّا غريبًا تلهو وتجري هنا وهناك، نساء كثيرات يتجولن وبعضهن يتبادلن الحديث.

وقفت في صمت أحدق بنظري في كل ما حولي، وبعد لحظات وجدت إحداهن تقترب مني حاملة بيدها وعاءً كبيرًا به بعض الخضروات.

كانت تبدو كسيدة عجوز فكانت تسير بخطوات بطيئة وظهر محنٍ تجاهي، وكانت ترتدي الملحفة نفسها التي أرتديها، وما إن اقتربت مني حتى قالت:

- هيا يا وصال لتجهزي الطعام باكرًا فقد تأخرتِ اليوم كثيرًا في نومك.

دلفتِ العجوز إلى الخيمة، وما زلت في حالة من الذهول والغريب كانت لهجتها غريبة غير لهجتنا المصرية وكأنها من بلد عربي آخر.

أسرعت خلفها إلى الداخل ونظرت إليها في ترقب وكانت تجلس على الأرض ممسكة بالخضرة التي أحضرتها فاقتربتُ منها قائلة:

- عفوًا، من أنتِ؟

حدثت نفسي بدهشة: "ما هذا؟ أنا أتحدث مثلها تمامًا وكأنني لست مصرية!

نظرت إليّ العجوز وضيقت من عينيها ثم قالت:

- لا أعلم إلى متى ستظلين هكذا؟ ذهبت بكِ إلى كل المشايخ وكبار علماء الدين فماذا أفعل أكثر من ذلك لينفك سحرك وتعودين لطبيعتك.

ـ سامحيني فأنا مشوشة قليلًا اليوم ولا أتذكر أي شيء وكأنني أصبت بالزهايمر فساعديني حتى أتذكر رجاء.

ـ لا بأس فهذا ما يحدث معكِ دومًا، حسنًا يا وصال أنا جدتك عقيلة والدة أبيك وأربيكِ منذ صغرك، كنتِ على ما يرام قبل تلك الحادثة ومن بعدها أصبحتِ تعانين كثيرًا.

ـ أي حادثة وأين أبي وأمي؟

ـ الحادث متعلق بفيروز وزهير.

ـ من هما؟

ـ يا ابنتي فيروز وزهير هما والداكِ.

ـ حسنًا يا جدة لا تؤاخذيني وماذا حدث لهما؟

تذكرت تلك الحادثة التي فقدت فيها أبي وأمي وأختي وكأنّ الزمن يعيد نفسه من جديد ولكن ما قالته تلك الجدة عقيلة كان أمرًا عجيبًا، أكملت حديثها قائلة:

- وقع الحادث منذ خمسة أعوام، كنتِ أتممتِ الخامسة عشر من العمر وكان أبوكِ وأمك من العرافين اللذين ذاع صيتهما هنا في جنوب الجزائر.

شهقت بقوة من أثر الكلمة وقلت:

- الجزائر، نحن في جنوب الجزائر؟

تنهدت الجدة بحزن قائلة:

- لقد تفاقمت حالتك يا صغيرتي حتى إنكِ لا تتذكرين ما حدث قبل الحادثة وأين أنتِ.

ـ نعم لا أتذكر من شدة المرض فساعديني رجاء، قلتِ إن فيروز وزهير أقصد والديّ كانا من العرافين فماذا حدث؟

ـ كان لديهما رؤى عجيبة ويلجأ إليهما الكثير والكثير من كل بقاع الجزائر لقراءة طالعهم ونظرًا لشدة تطلعهما وقراءاتهما أرادا التعمق أكثر وتخطي الحاجز الذي يفصلنا عن العالم الآخر وهو عالم المدينة المنسية.

ـ يا جدة عفوًا على مقاطعتي لكِ ولكن في أي يوم نحن؟

ـ يا ويلي يا وصال، نحن في منتصف شهر كانون الأول في عام ألف وثمانمائة وتسعة.

صرخت في وجهها قائلة:

- القرن التاسع عشر، تبًّا لكِ أيتها البائسة التعيسة.

تبدلت ملامح الجدة بغضب قائلة:

- أنا بائسة أيتها المغيبة المجنونة.

ـ لا يا جدة لم أقصدك، ولكنني أقولها لنفسي دائمًا، فأنا هكذا بائسة وتعيسة منذ ولادتي، لتكملي حديثك، ماذا حدث مع فيروز وزهير بعد ذلك.

ـ كنت أعيش معكم هنا منذ أن تزوج أبوكِ بفيروز وشهدت لحظة ولادتك وكم سعدا بقدومك، لقد ورثا العلم والمعرفة والسحر من أجداد الأجداد وأصبح هو مصدر معيشتنا الوحيد.

ـ أتقصدين أنهما كانا يفكان الأسحار للآخرين ويقومان بعمل الأحجبة والربط وجلب الحبيب وما إلى ذلك!

ـ نعم كانا يفعلان كل شيء يخطر ببالك، وفي يوم مشؤوم قرر والدك الذهاب حيث المعرفة الأكبر والحضارة الأقدم.

ـ عن ماذا تتحدثين؟

ـ عن المدينة المنسية، جزيرة سيفار على بعد كيلومترات من هنا.

ـ حسنًا ولماذا أراد زهير الذهاب إليها، هل يقطن بها أحد السحرة أو الدجالين الكبار؟

ـ يقطن بها اللا شيء عدا الجن.

ـ الجن؟! حدثيني عنها وعما حدث لزهير وفيروز هناك وسبب مرضي هذا.

ـ "استخف أبوكِ بكل ما قيل عن هذا المكان المريب، وزعم أنه مجرد مكان مجهول شاع حوله الأقاويل المخيفة حتى لا يقترب منه أحد، ولكن الحقيقة هو مخبأ لكنز لا يتخيله بشر ولا تدركه الأبصار، أعظم كنز في الوجود، كان البعض يرددون أنه جزيرة أطلنطس المفقودة ولكن أصر والدك على أنها جزيرة الكنز المفقود، وكانت فيروز تسانده دائمًا فشجعته ليستكشفا المكان معًا ويبحثا عن الكنز المفقود بالداخل، وقررا جمع ما يلزمهما من عتاد ومؤونة ليرحلا في صباح يوم ما، وأثناء خروجهما تسللتِ أنتِ خلفهما لتذهبي معهما ولم يلاحظا أنكِ تتعقبينها حتى دخلتم الجزيرة.

مرت أيام كثيرة، وفجأة وجدتكِ أمام الخيمة في حالة يرثى لها، كانت ثيابك متسخة وممزقة ووجهك شاحب وظهر على جسدك الضعف الشديد نتيجة قلة الغذاء، حاولت معرفة أي شيء مما حدث معكِ ومع والديك هناك ولكنك أنكرتِ معرفتك بأي شيء رأيتِه، ولا أعلم كيف مات ولدك وفيروز في تلك الجزيرة، أحيانًا أسمع همهمات لأصوات غريبة حولي وكأنها تهمس لي أنهما على قيد الحياة ولكن إن كانا على قيد الحياة فلماذا لم يظهرا طوال تلك الأعوام ولم يرَهما أحد بالجوار؟

ساد الصمت قليلًا ثم قلتُ للجدة:

- من الجائز أن يكونا على قيد الحياة وعثرا على الكنز وهربا به خوفًا من أن يطمع فيه أحد اللصوص.

صاحت الجدة:

- ولدي لا يفعل ذلك أبدًا، لا يرحل بكنز من دوني ومن دون ابنتهِ أيضًا، بالتأكيد لقى حتفه منذ تلك الليلة التي عدتِ فيها وحدك إلى هنا.

- وماذا عني؟

- ماذا؟ لا شيء.. نعيش هكذا معًا منذ رحيلهما، ودائمًا ما تجلسين وحدكِ وتنفرين من كل الجيران والأصدقاء حولنا، وجميع المشايخ وكبار الدين أكدوا أنكِ تعرضتِ للمس الشيطاني هناك أو لصدمة كبيرة، فربما رأيتهما وهما يموتان هناك أو رأيتِ ما هو أبشع من ذلك.

تركتني الجدة وأنا في حيرة كبيرة، ذهبتْ لتثرثر مع الجيران وأنا في رأسي مائة سؤال، لماذا القرن التاسع عشر يا شعضوض؟

وما علاقة الجزيرة المنسية بتلك الألغاز؟!

ألا يوجد هنا حاسوب أو أي شيء لأبحث عن أي معلومات تخصها؟

حاسوب؟!!

أين تحسبين نفسك يا بائسة، حتى إن الإضاءة هنا تكمن في بعض المشاعل الموقدة، والطعام يتم تحضيره في إناء لا أدري من الطين أم ماذا، وبعض الحطب لتسويته.

أين اللغز يا وصال؟

أين يا بائسة؟

الجزائر يا شعضوض، أقسمت بالله ما إن أنتهي من تلك اللعبة السخيفة سأحرقك للأبد لأقتص منك مما تفعله بي أيها الماكر.

بعد تفكير طويل فيما يخص اللغز وسبب وجودي في هذا المكان، توصلت إلى أمر واحد ليس إلا، ألا وهو الشيء الذي حدث مع زهير وفيروز ومعي... أقصد وابنتهما حين ذهبا إلى تلك الجزيرة ولكي أكتشف ذلك يجب أن أطلب مساعدة أحدهم يكون لديه علم عن تلك الجزيرة وما بداخلها، أحد آخر غير تلك الجدة عقيلة، ولكن أين ذاك الشخص؟

قررت التجول قليلًا في الخارج لعلني أجد شخصًا ما يساعدني، توجهت إلى بعض النساء لعلهن يعرفنني ويحادثنني عن أي شيء، وقفت أمامهن وهن يجلسن أمام إحدى الخيم ملتفات حول كومة من الحطب المشتعل، صحت فيهن قائلة:

- السلام عليكن.

لم ترد إحداهن السلام بل ولم تلتفت إحداهن إليّ وكأنني خيال يقف أمامهن، صحت مرة أخرى بغضب قائلة:

- لماذا لا تردنّ السلام، هل أنتن من الكفار أم ماذا؟!

الغريب أنهن لم يلتفتن إليّ مطلقًا، وكأن هناك شيئًا عجيبًا في أمري لا أعلمه أو أنهن يعلمن ما حدث مع ابنة فيروز وزهير بالفعل ولذلك لا يحادثنني.

عدت إلى الخيمة في حالة من الغضب الشديد ورفعت عن جسدي تلك الملحفة الغريبة التي تعرقل حركتي كلما خطوت، كانت عقيلة تغفو على فراش داخل الخيمة وكادت أشعة الشمس تغيب، لا أعلم في أي ساعة نحن ولكن حل الظلام، تأففت بصوت عالٍ أيقظ عقيلة من ثباتها، واعتدلت في فراشها قائلة:

- ما بكِ يا وصال؟ لماذا تتأففين هكذا؟ أتشعرين بالملل!

ـ ملل؟! أي ملل وأنا حولي كل وسائل الترفيه!! ولكن لا عليكِ يا جدة فالأمر ليس كذلك، ولكن خرجت لأتحدث قليلًا مع الجيران لعلني أتسلى معهم.

حدقت عقيلة بي بحدة وقالت:

- ثم ماذا؟

- لا شيء... نعم يا جدة لا شيء، وكأنني لم أمر حتى عليهن، كان هناك عدد من النسوة بجوارنا يجلسن ويثرثرن ويضحكن وحينما اقتربت منهن لم يرد أي منهن عليّ السلام!

تنهدت عقيلة وصمتت للحظات ثم قالت:

- لا عليكِ يا صغيرتي، إنهن ملعونات لا يعلمن مَن أنتِ.

- كيف لا يعلمن من أنا ونحن جيران وخيمتنا بالقرب منهن وعدد الخيام هنا في تلك القبيلة محدود جدًّا فبالتأكيد الجميع يعرفون بعضهم البعض.

- أقصد يا صغيرتي أن الجميع هنا يظنون أنكِ كنتِ لعنة لفيروز وزهير، أبواكِ كانا محبوبَين جدًّا هنا في القبيلة وعندما عدتِ وحدك من الجزيرة ظنوا أنكِ مصابة بسحرٍ أو مسٍّ ما قضى عليهما هناك لتعودي وحيدة وتسرقي منهما علمهما وخبرتهما، أصبحتِ منبوذة منهم ولكنني لم أتخلَّ عنكِ لحظة ولن أتخلى حتى الموت.

- فهمت، لذلك لا يجيبني أحدهم في هذا المكان.

نظرت إليّ عقيلة في خبث وأردفت:

- "ولن يجيبك أي شخص هنا حتى لو ألقيتِ ألف تحية عليه، لذلك لا تحادثي أحدًا ولا تلقي السلام على أحد، وإن أردتِ أن تتجولي أحذرك ألا تبتعدي عن هنا بكثير ولا تفكري بهذا مطلقًا.

أخشى عليكِ من السير وحيدة في الصحراء فمن الممكن أن يهجم عليك سبع ما أو أي حيوان مفترس".

صحت قائلة:

- هل يوجد هنا حيوانات مفترسة؟

ـ نعم، وأيضًا عادة تكون جائعة جدًّا، وتهاجم كل من تجده وحيدًا ويختفي بعدها داخل أمعائهم، وظننا أن هذا ما حدث مع والديكِ هناك في الجزيرة المنسية، الآن خذي قسطًا من الراحة فقد حل الظلام وإياكِ أن تستيقظي غدًا بذاكرتك الممحية مرة أخرى.

غفت عقيلة مرة أخرى وجلست أراقب خيالات المشاعل داخل الخيمة وأستمع إلى صوت الرياح القوي في الخارج المختلط بصوت البوم وصرصور الليل وأيضًا صوت عواء يأتي من بعيد، وهنا أيقنت أن الخروج ليلًا من تلك الخيمة شبه مستحيل.

مرت عدة أيام لم يحدث فيها أي شيء مثير للاهتمام، لم يحادثني أحد، ولم ألفت نظر أي شخص في القبيلة، عقيلة تثرثر قليلًا وتغفو كثيرًا وتتركني لأمور الطبخ والترتيب وما إلى ذلك وكأنني أصبحت جزءًا من هذا العصر ومن تلك القبيلة وخشيت أن أكون أسيرة في هذا الزمن وبتلك الطريقة حتى الموت.

مر يومان آخران وقد سئمت بالفعل تلك الحياة ولم يأتِني من شعضوض أي رسائل أو أي دليل لحل لغز تلك الحقبة أو هذا المكان، فقررت الذهاب لاستكشاف بعض الأماكن هنا غير مكترثة لما قد يحدث معي وأنا أتجول وحدي في تلك الصحراء.

حملت بعض الماء وتسللت من الخيمة دون علم عقيلة، كنت أخشاها إلى حد ما، أحيانًا تبدو نظراتها غريبة ومخيفة، وأحيانًا تشرد تمامًا، وباقي الوقت تغفو في فراشها كالجثة الهامدة.

سرت لمسافة كبيرة لم أرَ فيها أي شيء سوى الرمال الصفراء وبعض الجبال الشاهقة، اشتدت حرارة أشعة الشمس فأخرجت قنينة الماء لأرتشف بعضًا منها، أدركت أنني لن أستطيع التكملة هكذا والبحث عن المجهول دون أي دراية، تنهدت بغضب وقررت العودة، وفجأة نظرت حولي لأجد كل الأماكن تشبه بعضها البعض، كل الاتجاهات واحدة ولا شيء يميز طريق العودة.

لقد ضللت طريق العودة إلى القبيلة، ولم يتبقَّ معي سوى بعض الماء، ولا يوجد أي طعام فلم أكن أعلم أنني سأسير كل هذا الوقت وتلك المسافة، يا ألله ماذا أفعل؟

صحتُ بقوةٍ وغضبٍ قائلةً: تبًّا لك يا شعضوض.

سقطت على الأرض وأنا أبكي بشدةٍ ممسكة بكتل الرمال بين يديّ، حتى وجدت خيالًا ما يأتي من خلفي، وقفت في فزعٍ ونظرت خلفي لأرى مَن هو، يا إلهي؟!

كان هناك شابٌّ مفتول العضلات، وسيم بدرجة خلابة ولكن كالعادة يشبه "عز"، ولكنه يفوقه في الجمال وقوة البدن، يرتدي ملحفة صحراوية سوداء رجالي وأسفلها جبادولي أو كراكو أسود وعمامة على رأسه، وكأنه فارس ظهر فجأة من حكايات ألف ليلة وليلة.

وقف يرمقني بنظراته بدهشة وأخذت أبادله نفس النظرات وشعرت أنه طوق نجاتي من تلك الصحراء، بعد لحظات من تبادل النظرات ابتسم الشاب قائلًا:

- ما الذي أتى بكِ هنا يا فتاة؟

- لقد ضللت طريق العودة إلى القرية، كنت أتجول قليلًا ولكنني ابتعدت كثيرًا دون أن أشعر.

- نعم... هكذا هي، تسحركِ وتجذبكِ حيث تريد دون أن تشعري بذلك.

اندهشت مما قال وسألته:

- من هي؟

أشار بيديه حوله قائلًا:

- مدينة السحر، مدينة سيفار.

لمعت عيناي بشدة وقلت مبتهجة:

- حقًّا؟ أنا هنا في تلك المدينة؟

- نعم يا...........

ـ وصال.. أنا وصال، وأنت ما اسمك؟ ومن أين أتيت؟
ابتسم بهدوء قائلًا:
- وأنا زين، ولم آتِ من أي مكان، أنا أعيش هنا..
ـ في المدينة المنسية؟
ـ ليست منسية فهي في قلوبنا جميعا.
ـ من أنتم؟
ـ قبائل بني هلال..
ـ أنت من نفس قبيلتنا فأنا أيضًا منها وأبي هو الشيخ زهير رحمه الله.
ابتسم زين قائلًا:
- وصال ابنة زهير وفيروز... صحيح؟
ـ نعم صحيح، هل تعرفهما.. بالطبع تعرفهما فالقبائل عددها محدود جدًّا.
ابتسم مرة أخرى قائلًا:
- أعرفهما تمام المعرفة ولكننا لا نقطن في نفس البقعة، نحن نعيش هنا لحراسة مدينتنا.
ـ تقصد سيفار؟
ـ نعم.
ابتسمت بسعادة ودهشة قائلة:
- أتعرف كيف لقى كل من زهير وفيروز مصرعهما وكيف عدت وحدي سالمة دونهما؟

حدثت نفسي قائلة: "نعم يا وصال هذا هو اللغز الذي سينتشلك من تلك الحقبة، أتمنى لو يعلم زين بأمرهما و............."

قاطع زين تفكيري قائلًا:

- إنهما في المتاهة بالتأكيد.

تبدلت ملامحي وقلت بدهشة:

- أي متاهة؟ أتعني أنهما ما زالا على قيد الحياة؟!

- ربما نعم، وربما لا.

- كيف لا تعلم وأنت من هنا، ولكن من أين سيأكلون ويشربون هنا كل تلك الأعوام؟!

- السيد لا يترك أحدًا جائعًا هنا فبالتأكيد يرسل إليهما الطعام.

- سيد من؟ خذني إليهما الآن رجاءً يا زين.

- حسنًا ولكن عليكِ أن تحذري، فيجب أن تكوني بجواري طوال الوقت أثناء سيرنا، فالمدينة عبارة عن مجموعة من الكهوف والمتاهات وإذا ابتعدتِ عني عدة أمتار قليلة لن أسمع صرخاتك أبدًا.

أومأت برأسي بالموافقة، فأنا لم أكن لأفعل غير ذلك، فلن أغامر بالسير وحيدة في هذا المكان العجيب وفي تلك المتاهات وسط وحوش الصحراء.

بعد ساعة من السير المتواصل وقفنا أمام ممر طويل يفصل بين جبلين ضخمين وكأنه بوابة لتلك المدينة، كانت تلك أكثر المشاهد جمالًا التي رأيتها في حياتي، وقفت أدقق النظر في الجداريات الموجودة على الجبال بدهشة وإعجاب.

كانت هناك نقوش غريبة ورسومات أغرب، منها ما يشبه كائنات فضائية تقريبًا ومنها ما يشبه الأسماك ومنها وحوش كنت رأيتها من قبل في أحد الكتب القديمة وكانت تسمى بمخلوقات قبل الطوفان وهم "الحن والبن والمن والخن" ورسومات أخرى وكأنها لممارسي السحر وخلافه.

توغلنا داخل الممر ولم ألاحظ أي شيء غريب حتى الآن، فقط بعض أصوات الحشرات المختلطة وعواء لذئاب ولكن بدا صوتها وكأنها تبعد كثيرًا عن موقعنا، بدأ الخوف يتسلل إليّ فقلت لزين بهدوء:

- هل هناك أي خطر ممكن أن نتعرض له؟

ضحك زين بسخرية قائلًا:

- الخطر في كل مكان قد تذهبين إليه، الخطر يكمن في كل خطا تخطينها وفي كل نفس يخرج ويدخل لرئتيكِ، هل أي مخلوق على وجه الأرض لديه علم عن كيفية موته؟

- بالطبع لا... هذا قدر وعلم غيب عند الله وحده.

ـ نعم بالضبط.... فمن الممكن أن يكون الخطر داخل مأواكِ وأنتِ تجلسين آمنة مطمئنة ليسقط عليكِ شيء ما فجأة، أو يصيبك أي مرض فجأة أو يهاجمك اللصوص ويقتلونك فجأة، لذلك أيًّا كان المكان وأيًّا كانت درجة أمانه قد يكون هو بؤرة الخطر، فلا تهتمي لتلك الأصوات ولا هيبة المكان، فقدرك محتوم يا وصال.

ـ أعلم أن قدري وقدر أي شخص بيد الله ولكن علينا ألا نلقي بأنفسنا إلى التهلكة وعلينا بتوخي الحذر، أم نفعل ما نفعل وننتظر الموت بأي وسيلة؟!

توقف زين ورمقني بنظرات غريبة للحظات ثم نظر بجواره قائلًا:

- هيا ادخلي داخل هذا الكهف.

نظرت بجواره على جدار الجبل فوجدت فوهة صغيرة نسبيًّا لا يمر من خلالها سوى شخص واحد، شعرت بالخوف الشديد ووجدتني أرتجف بقوة وكاد قلبي يتوقف وقلت بتلعثم:

- ما هذا؟ ولماذا لا تمر أنت أولًا؟

ابتسم زين بسخرية وقال:

- أردتِ معرفة مكان والديكِ وها أنا أحضرتك إليهما فلماذا أذهب معكِ، سأعود أدراجي.

وجدتني بتلقائية أتشبث به من يده وتوسلت قائلة:

- رجاء لا تتركني يا زين، أشعر بالخوف والرهبة ولا أعلم ما ينتظرني بالداخل، كن معي رجاء.

ابتسم زين واقترب مني بخبث واقترب أكثر من وجهي حتى شعرت بأنفاسه الحارة تخترق بشرتي، فحاولت الابتعاد عنه قليلًا فابتسم ممسكًا بيدي بقوة قائلًا:

- كل شيء متاح ولكن يقابله الثمن.

اندهشت مما قال وسألته عن قصده فأردف بخبث:

- سأكون معكِ في كل خطوة حتى تدركي ما تبحثين عنه وحتى تخرجي من هنا بشرط أن تكوني زوجة لي بعدها وملكًا لي حتى مماتي.

شهقت بدهشة ثم قلت:

- زوجتك؟ وهنا في الجزائر؟

تبدلت ملامحه ثم قال:

- لا أفهم قصدك، نعم زوجتي، وهل تريدين الذهاب لبلد آخر غير الجزائر، حسنًا لمَ لا؟ سأكون معكِ.

ساد الصمت للحظات وحملقت في عينيه فشردت قليلًا محدثة نفسي: "إنه شبيه حبيبك يا وصال بل أجمل منه، وشجاع وقوي فلمَ لا......".

ثم نهرت نفسي بعدها: "وهل من الممكن أن يأخذ شخص مكان شخص آخر بنفس الشعور والأمان، بالطبع لا أيتها البلهاء، عز هو الأمان وزين مجرد شخص في حدوته ستنتهي فور حل اللغز اللعين، ولكن أين اللغز؟

إنه يكمن في زهير وفيروز، سأوافق على شرطه حتى يعود كل شيء كما كان، معتادة أنا على الشروط والتحكم من قبل الجن والإنس".

"تبًّا لكِ أيتها البائسة التعيسة".

قلت بحزم:

- حسنًا يا زين أوافق على شرطك، وسأكون ملكك حتى أعود إلى بيتي.... أقصد قبيلتي.

أمسك بكتفي بقوة وابتسم بخبث للحظات ثم جذبني من يدي قائلًا:

- هيا لنكمل السير إلى الداخل وأعدك بعرس يليق بالأميرات يا جميلة.

سرنا داخل الكهف وكان معتمًا تمامًا، ورائحته غريبة تشبه الأعشاب الجافة، انعدمت الرؤية أمامنا شيئًا فشيئًا فوقفت بحذر قائلة:

- لا أرى شيئًا يا زين؛ فكيف سنتوغل إلى الداخل في تلك العتمة؟!

ابتسم زين ثم نظر حوله قائلًا:

- يا ملوك سيفار، أضيئوا الأنوار، ليمر كلّ من زين وخطيبته وصال.

وقفت في دهشة وإذ بضوءٍ يشبه ضوء المشاعل ينتشر داخل الكهف فجأة، فصحتُ قائلة:

- يا إلهي ما هذا؟! هذا من فعل السحر أم من فعل الجان؟

تملكني الرعب أكثر وجذبني زين قائلًا:

- لقد أضاء المكان لأجلك يا جميلة الجميلات فلتكملي معي الطريق.

وصلنا بعد لحظات لنهاية الكهف، نظرت حولي فلم أجد سوى تلك النقوش العجيبة على الجداريات، وتفحصتها بعيني من شدة غرابتها، كانت عبارة عن نجوم سداسية ونار مشتعلة أمام....

يا إلهي النار مشتعلة أمام شخص ضخم يرتدي نفس الزي الذي يرتديه زين وبجواره يصطف الكثير من الأشخاص ولكن في وضع السجود، وفي أحد الأركان وجدت رسمة لكرسي يشبه العرش يجلس عليه كيان مرعب ذو قرون ضخمة وحوله مخلوقات تشبه الجن ولكن أقل حجمًا من ذاك الكيان.

صاح زين:

- لقد وصلتِ لنهاية الكهف.

قلت بدهشة:

- ولكن ما الجديد هنا؟! إنه فارغ ولا وجود لأحد هنا سوى تلك النقوش الغريبة.

- ماذا تريدين يا وصال؟

- أريد "زهير وفيروز".

- لتصيحي عليهما.

وقفت في صمت للحظات ثم صحت قائلة:

- يا زهير، يا فيروز، أين أنتما؟

وفجأة ظهر في أحد الأركان سيدة ورجل يمسكان ببعضهما بعضًا في ذعر، والغريب أنهما يشبهان والديّ تمامًا وكدت أرتمي بين أحضانهما من شدة شوقي لهما، ولكن تمالكت نفسي مرة أخرى فبالتأكيد هما شخصان آخران، ثم نظرت إليهما بدهشة وقلت لزين: هل هما ....

أومأ زين برأسه ولكنني كنت في حالة من الدهشة فلقد بدا كلّ منهما في نفس العمر الذي ضاعا فيه في تلك المدينة، ولكن كيف؟ فمن المفترض أن يكونا عجوزين، أكلهما الشيب بعد كل تلك الأعوام.

اقتربت منهما بحذر وبينما أنا أقترب إذ بشيء يتحرك خلفهما وكأنه يحتمي بهما، وقفت للحظات حتى ظهر ذاك الشيء وكانت صدمة كبيرة حينما اتضح من هو، إنها فتاة في عمر الخامسة عشر ظهرت من خلفهما، وما جعلني في حالة من الدهشة أكثر أنها تشبهني في مثل هذا العمر تمامًا.

نظرت إلى زين فوجدته ينظر إلي بابتسامة، تعجبت من أمره واقتربت منهم فصاح بي الرجل:

- ماذا تريدان؟

وقفت في دهشة وقلت بتلعثم:

- هل أنت زهير وتلك هي فيروز؟

- نعم أنا زهير وتلك زوجتي فيروز وهذه ابنتي وصال، فماذا تريدان منا ألا يكفيكما ما حدث معنا؟!

تسمرت في مكاني أردد في نفسي" "ابنتك وصال"؟ ولكن كيف؟!

تحرك زين تجاهي ووقف أمامي ليحول بيني وبينهم وابتسم قائلًا:

- لماذا يبدو عليكِ الدهشة يا جميلة فأنتِ تعلمين جيدًا أنكِ لستِ ابنتهما.

فتحت فمي عن آخره وأشرت إليهما في دهشة فصاح زهير بنا:

- نحن نتألم كثيرًا؛ يكفي هذا القدر من وجودنا هنا ودعونا نرحل في سلام أتوسل إليكما.

قلت بهدوء:

- ماذا يحدث؟

التف زين حولي وهو يضحك بقوة ثم أردف قائلًا:

- أنتِ وصال، أتيتِ من عالم آخر وظهرتُ من أجلكِ قبل أن تضلي طريق العودة، خدعتكِ عقيلة يا جميلة كما خدعتهم من قبل وها أنتِ هنا لتكتشفي ما لم يكتشفه أحد من قبل.

- ماذا تقصد؟ وكيف علمت بأمري؟ حسنًا دعني أعود لموطني.

تعالت ضحكاته قائلًا:

- وكيف ستعودين وأنتِ ستصبحين زوجتي وملكًا لي، لقد تورطتِ بي.

صحت قائلة:

- من أنت يا زين؟!

- أنا ابن الشيطان، ثبر بن إبليس.

وفجأة تحولت هيئة زين لكيان بغيض يشبه تلك المخلوقات المرسومة على الجداريات، إنه ابن الشيطان بالفعل، لقد تورطت بالفعل ولكن لماذا يفعل شعضوض بي كل هذا وأين ذاك اللغز.

صاح زهير فجأة:

- دعونا رجاءً لنرحل في سلام.

نظرت إليهما وإلى الفتاة التي كانت تبكي بشدة فتساقطت دموعي رغمًا عني تعاطفًا معها، بدت وكأنها أنا في خوفي وتشتتي، في تعلقها بأبويها وكأنهما الأمان الوحيد لها، فاقتربت منها لأربت عليها وأهدئ من روعها قليلًا وإذ بي لا أستطيع لمسها فكان هناك حاجز ما يفصلهم عنا ولكنه غير مرئي.

ضحك ثبر بقوة قائلًا:

- ظننتِ أنهم بشر مثلك، يا جميلة انظري حولك، كيف لبشر أن يعيش هنا في تلك المدينة المخفية، ولا يوجد هنا مصدر حي للعيش.

ـ ولكن قلت لي من قبل أن السيد يطعمهم.

ـ وهل صدقتني... هاهاهاها.. السيد يطعمهم الجحيم، أبي لا يرحم من يقتحم قبيلتنا ومدينتنا، هؤلاء مجرد أرواح هائمة، لقد ماتوا جميعًا في تلك البقعة منذ ذاك الوقت الذي أتوا فيه.

ـ ماذا؟! أرواح هائمة وجميعهم موتى... لماذا وكيف حدث؟

صاح ثبر:

- أحكي أنا يا زهير أم تروي لها أنت ما حدث؟

بكى زهير بشدة وهو يحتضن فيروز والصغيرة وصال ثم قال:

- عقيلة هي من تسببت في كل هذا، لقد امتهنت السحر والشعوذة وصارت عبدة للشيطان، كنت أنا وزوجتي على دراية ببعض أمور السحر تلك، فلقد توارثناها عن أجدادنا ولكننا استخدمناها في فعل الخير ليس إلا، ولكنها رفضت الانصياع لنا وبدأت تؤذي كل من يقترب منها ولا تفعل بذاك السحر إلا كل ما هو مريع وشنيع، وقفت في وجهها أنا وزوجتي كي نعيش في سلام تحت حفظ الرحمن، وأقسمت أنها إن لم تقلع عن أفعالها سأبلغ عنها عند كبير القبائل وسأجعل كل بقعة في البلاد تعرف بأفعالها وينفذ الحد عليها، ولكنها أبت وتحدتني ومارست ذاك السحر الأسود على ابنتي الصغيرة وصال، فأصابها مرضٌ خطيرٌ لم أعرف علاجه وحاولت جاهدًا إنقاذها وبالأخير توسلت إلى عقيلة لتدمر ذاك السحر الذي تمكن من ابنتي فأمرتني باصطحابها هي وزوجتي إلى هنا وقالت إن العلاج بأحد كهوف سيفار، ولم يكن أمامي سوى المجيء إلى هنا لإنقاذ صغيرتي، ولكنها كانت تتلاعب بنا، دلفنا إلى المدينة ولهذا الكهف ليظهر أمامنا ثبر ويسألنا عما نريد، وحينما أخبرته قال إن بمقدوره شفاءها وإعادة عافيتها لها ولكن بشرط.....

نظرت إلى ثبر في غضب، فكل شخص أراد شيئًا وضع أمامه شرطًا ليكون ثمن تلبية طلبه.

أردف زهير في حديثه المؤلم قائلًا:

- كان الشرط هو طاعته وعبادته وإلا سيعذبنا جميعًا أنا وعائلتي حد الموت، وبالطبع أبيت أن أعصي رب العالمين وأن أطيع الشيطان، فلن أعبد غير الله في حياتي وفي مماتي، فجن جنون ثبر وأخذ يعذب فينا أيامًا عديدة، مستعينًا بأتباعه المرعبين، لا طعام ولا شراب ولا ضوء، وتعذيبنا بالنيران والتقييد والسلخ إلى أن لقينا حتفنا واحدًا تلو الآخر من شدة العذاب ولكن ظلت أرواحنا معلقة هكذا، فلا نجد معنى للراحة حتى الآن.

ضحك ثبر بقوة قائلًا:

- أرأيتِ يا وصال ما يحدث إذا عصى أحدهم أوامري.

نظرتُ إليه في غضب وقد غرقت وجنتي بالدموع، صحت في وجهه:

- أيها اللعين عدو الله دعهم يرحلون من هنا.

ضحك بقوة وقال بسخرية:

- لا أترك من عصانا حتى بعد موته، سأجعله حبيس ذلك الكهف إلى يوم الدين.

قلت في حزم:

- وما هو شرطك لتتركهم يرحلون؟!

- الولاء والطاعة.

صاح زهير:

- أبدًا ورب الكون لن أطيعك.

صحت في ثبر:

- وأنا لن أتزوجك طالما أنهم معلقون هنا في هذا القبر البشع.

غضب ثبر واقترب مني بأنفاسه الكريهة قائلًا:

- لن تستطيعي فزواجك كان مرهونًا برؤيتهم وها قد رأيتهم.

- نعم رأيتهم ولكن لم تتحقق غايتي في تحريرهم، حررهم ولنتزوج بعدها.

صرخ ثبر ثم قال:

- أستطيع أن أفعل بكِ ما أريد رغمًا عن إرادتك.

ضحكتُ بسخرية ثم قلت له:

- لا يا ثبر، فأنا أعلم جيدًا أن الشيطان لا يستطيع مس بني البشر إلا بموافقته وبإرادته، ولا يعصي الله إلا برغبة داخلية في ذلك، أنت لا تستطيع التحكم بنا ولكننا نستطيع التحكم بكم وجعلكم تتحسرون على كونكم شياطين توسوسون لنا فقط، وإذا نفذ أحدنا وسوستكم ظننتم أنه منكم ولكنه منا أيضًا، أولئك أصحاب النفوس الضعيفة عديمي الإيمان مثل عقيلة.

تذمر ثبر وصرخ عاليًا وأخذ يلف حول نفسه في توتر وغضب ثم قال:

- ماذا تريدين؟

ابتسمتُ بثقة ثم قلت:

- تحضر عقيلة إلى هنا.

ـ ولماذا؟ ألم يكن شرطك هو العفو عن هؤلاء!
ـ منذ قليل فقط كان هذا شرطي، أما الآن أريد تلك العجوز هنا وأريد أن أعرف سبب كذبها عليّ.
اقترب ثبر مني قائلًا:
- أنا أعرف لماذا؟ لم تكذب عليكِ فلقد ظنت أنكِ وصال بالفعل وأنكِ عدتِ حيث كان والداك وافتعلت قصة النسيان وكل ما ذكرت حتى لا تنتقمي منها، ولكنها كانت شديدة الحرص معكِ، فالمؤامرة هي حياتها ولذلك ظنت أنكِ تتآمرين مع أحدهم للانتقام منها ولذلك هابكِ جميع القبيلة واجتنبوا الحديث معكِ؛ فلقد أخبرتهم عقيلة أنكِ أتيتِ من الجحيم وأصبحتِ من عبدة الشيطان.
تمتمتُ بالسب على تلك المرأة ثم قلت بحزم:
- ما ذكرته يجعلني أصر على مجيئها إلى هنا وفي الحال، هيا يا ثبر أرني قوتك.
صاح ثبر بغضب:
- أأتوني بعقيلة يا خدام السيد.
وفجأة ظهرت أمامنا تلك العجوز الشيطانية وبدا عليها الذعر وأخذت تنظر إلينا وهي ترتجف، فصاح بها زهير:
- أيتها الملعونة، كيف تفعلين كل هذا بولدك وحفيدتك المسكينة، لعنك الله حية أو ميتة.
تلعثمت عقيلة وهي تنظر إلى ثبر قائلة:
- ماذا تريد.

أشار ثبر إليّ فوقفت أمامها بغيظ ثم قلت:

- يا ثبر دعها هنا دون طعام أو شراب أو ضوء حتى الموت وبعد الموت افعل بها كما فعلت بولدها وعائلته.

نظر إليّ ثبر في غضب فأردفت قائلة:

- هذا شرطي وإلا.......... انتظر ليرحل قبل ذلك زهير وزوجته وابنته من هنا في التو واللحظة، أترك أرواحهم لتذهب لمثواهم الأخير.

وقف ثبر في غضب دون أن ينطق فاقتربت منه قائلة بسخرية:

- لقد عشقتني يا ثبر حين رأيتني على مشارف المدينة، والعاشق متيم، والمتيم هائم، والهائم يطيع حتى يستطيع...... وأنت تعلم يستطيع ماذا!

نكس ثبر رأسه ثم قال بصوت خافت:

- دعوهم يرحلون.

ابتسمت بسعادة ونظرت إلى زهير وفيروز ووصال فوجدتهم في حالة من السعادة وأخذوا يتلاشون شيئًا فشيئًا وأثناء ذلك همس زهير قائلًا:

- قدرك يا وصال لا مفر منه، لقد أخطأتِ حين استعنتِ بالشيطان، فلماذا لم تستعيني بالله، فمن يستعن بالله ينَل مبتغاه، ما زلتِ على البر قبل أن ينالك الشر.......

تلاشت كلمات زهير فجأة ولأول مرة أشعر بأنني في المكان والحقبة الصحيحة.

بكت عقيلة بشدة وطلبت مني العفو والسماح، فصحت في ثبر ليقيدها داخل الكهف وبالفعل نفذ مطلبي.

صرخت عقيلة عاليًا فوضعت يدي على أذني بقوة وطلبت من ثبر أن يخرجني من الكهف.

وأغمضت عيني لأجدني......... لا ليس بغرفتي ولكن على سفح جبل من أحد جبال سيفار الضخمة، نظرت حولي في دهشة ووجدت ثبر يقف أمامي ثم قال:

- ها أنتِ وها أنا وحدنا الآن ويجب عليك تنفيذ وعدك بعد ما نفذت كل رغباتك، أصبحتِ الآن ملكًا لي وسوف أقلك إلى مملكتي ومملكتك لتتعرفي على بقية عشيرتي وعلى أبي، الآن أنتِ تحت إماراتي فعليكِ بالطاعة والولاء لثبر وإلا ستكونين رفيقة عقيلة في الكهف..

أغمضت عيني سائلة الله أن يساعدني ولكن توقف عقلي عن التفكير ثم فتحت عيني ونظرت حولي وإذ بي فجأة ألقي بجسدي من أعلى الجبل وأنا أردد طاعتي لغير الله شرك فأشهد أن لا إله إلا الله.

آخر ما تذكرته هو ارتطامي بقوة في الأسفل على الصخر وسماع صوت طقطقة عظامي كله.

لقد مت.... ما هذا.... أنا هنا في بيتي... يا لسعادتي.... لقد عدت.

أخذت أقفز بسعادة فوق فراشي ثم توقفت فجأة قائلة:

- أيها الشعضوض الخبيث أين أنت؟

ثم أمسكت بالكتيب الخاص بالسحر وقررت حرقه وذهبت إلى غرفة الطعام وأمسكت بأعواد الثقاب كي أشعله وأثناء ذلك سمعت صوت شعضوض يقول:

- ستخسرين الكثير فلن يتركوكِ خدام الكتيب ولن تحصلي أبدًا على حبيب قلبك.

توقفت للحظات ثم نظرت إليه في غضب قائلة:

- كنت سأموت في تلك المرة أو سأكون حبيسة لذاك الشيطان في تلك المدينة، لماذا فعلت بي كل ذلك يا شعضوض؟

ابتسم شعضوض وسار حولي بخفة قائلًا:

- يا وصال أنا لستُ بشيطان، أنا خادم من خدام الجان ولكنني مسالم جدًّا، كل مكان أرسلتك فيه لم تفعلي إلا الخير وكل لغز مرتبط بالخير، فكري للحظات، أنتِ تعملين عملًا رائعًا سيكون في ميزان حسناتك.

ساد الصمت للحظات وأنا أحدث نفسي:

- معه حق، فلم أفعل شيئًا يغضب الله أبدًا حتى تلك اللحظة، وكل هذا بقدر من الله بالتأكيد.

نظرت إلى شعضوض بغضب ثم قلت:

- هيا أعطني مفتاحًا آخر حيث يكون حبيب القلب عز.

ابتسم شعضوض وفكر للحظات ثم قال:

- لغتنا واحدة وسماؤنا واحدة.

صحت به: شعضوووووض، لا أعرف الإجابة، أولا هنا وليس هناك حيث يكون الأجداد ثم حيث المياه العذبة وحيث منبع التاريخ، ثم لغتنا وسماؤنا، سمٌ يسري ببدنك أيها اللئيم.

ضحك شعضوض بقوة ثم اختفى وأنا أصيح به حتى ينتظر، وقلت لنفسي:

- لم ألتقط أنفاسي بعد، ما زال جسدي يؤلمني من لحظة ارتطامي أعلى الجبل، أتمنى أن يتركني هذا الجني اللئيم لأرتاح بعض الوقت.

التهمت الكثير من الطعام بنهم، شعرت بأنني لم أتذوق الطعام منذ دهر وبعد أن امتلأت أمعائي شعرت بالحاجة إلى الاسترخاء الطويل، ثم غفوت براحة ومتعة في فراشي ....

ويا ليتني لم أغفُ...........

*****

الدُّقْم

بتلك السرعة يا شعضوض! تُرى أين جئت بي تلك المرة؟!

إنه منزلٌ صغيرٌ يُشبه مساكن القرويين في الأرياف، فكان مبنيًّا بالطين والحصى، وكان الجو شديدَ الحرارة، كنت أتصبب عرقًا على هذا الفراش الغريب المصنوع من فروع النخل وجذع الشجر.

غرفة صغيرة بداخلها ركن خاص بتجهيز الطعام تقريبًا فقد وضع به القليل من الأواني وموقد صغير، وهناك ممر صغير لحمام غريب وبدائي به صنبور واحد أسفله وعاء كبير تقريبا يستخدم للاستحمام، وحفرة في الأرض لقضاء الحاجة بها، ما هذا؟! شيء مقزز.

ثم صعقت حين رأيت ثوبي؛ كنت أرتدي عباءة سوداء طويلة وضخمة وعلى رأسي وشاح أسود مقسم لقطع أعلى بعضها البعض ففهمت أنه الحجاب الذي ترتدينه المنقبات، تبًّا لك يا شعضوض هل أتيت بي إلى داعش أم ماذا؟!

لم أشعر بالغرابة الشديدة في تلك المرة فقد اعتدت تلك الأماكن والأزمنة الغريبة التي ينقلني إليها ذاك الجني الخبيث، ولكن أتمنى أن يقل الرعب الذي شعرت به في المرات السابقة، ولكن لماذا لا يوجد أحد غيري هنا؟!

قررت الخروج من المنزل لأستكشف أين أنا، وما إن اقتربت من الباب حتى وجدت أحدهم يفتحه ليقف فجأة أمامي، إنه هو..... بالتأكيد توقعتهم من هو.. نعم شبيه عز مرة أخرى، لا أفهم لماذا كل من أقابله يشبهه هكذا؟! ولكن تلك المرة لم يكن بتلك الوسامة التي كنت أعتاد عليها في شبيهي عز.

اقترب الرجل وألقى عليّ التحية بيده فقط دون أن ينظر إلي، كان يبدو شاحبًا وكبيرًا في السن، ذا بشرة داكنة وتكاد شفتاه أن تختفيا داخل فمه وكأن فمه فارغٌ من الأسنان تمامًا، مَن هذا العجوز الشاحب ولماذا لا يتحدث معي؟!

جلس على الفراش وأخذ يتحسس عظامه ويتألم، كان جسده ضعيفًا لدرجة أن عظامه كانت بارزة وكأنه صورة لهيكل عظمي مكسوّ بالجلد ويتحرك، اقتربت منه بحذر ثم همست قائلة:

- هل يمكنني أن أسألك عن شيء؟

نظر إليّ بأعين زابلة وكأن الموت يتخللهما ثم فتح فمه قائلًا:

- تحدثي..

كان لديه بعض الأسنان القليلة والمكسورة داخل فمه وكان لونها أسود مثل لون الفحم، قلت لنفسي: "هل هو بشر أم إنه أحد الجان الذين أقابلهم دوما؟!

صاح قليلا في وجهي قائلًا:

- هل ابتلعتِ لسانكِ، قلت تحدثي.

كانت لغته مختلفة عنا فكان يتحدث بلهجة العرب ولكن لم أستطع التمييز من أي بلد ولكن أعتقد أن يكون من الكويت أو السعودية، نظرت إليه بحدة وتلعثمت في الحديث وخرجت الكلمات من فمي متقطعة من الخوف قائلة:

- من.... أنت؟!

ابتسم الرجل ساخرًا وقال لي:

- كل يوم تفتعلي شيئًا جديدًا، تارة تفتعلين المرض الشديد، وتارة تقولين إن هناك جِنًّا بداخلك وأخرى تدعين أنك مريضة بالفصام، والآن تدعين النسيان، كل ذلك من أجل تركك لترحلي عن هنا ولتتحرري من سجني، ولكن افعلي ما تفعلين وستظلين هكذا حتى أموت أو تموتين أنتِ.

تساقطت دموعي وحدثت نفسي: "ما تلك الورطة، ماذا أفعل الآن؟ إنه حتى لا يجيبني، تُرى هل أنا اليوم ملك ذلك الرجل البغيض؟ هل هذا زوجي؟! ماذا أفعل؟!

بعد لحظات من الصمت قلت له بهدوء:

- هل لي أن أخرج قليًلا لأستنشق بعض الهواء فالجو لا يطاق بالداخل من شدة الحرارة؟

ابتسم بخبث قائلًا:

- لتخرجي، لا يوجد مكان لتذهبي إليه هنا، نحن وسط جبال وصحراء يا عزيزتي وكلما خرجتِ عدتِ باكية حينما تراكِ إحدى النساء بالجوار، نعم سيظلون هكذا معكِ وسينفر الجميع منكِ لأنكِ زوجة الغول.

شهقتُ بقوة ثم قلت:

- هل أنت غول؟! هل هذا اسمك؟

ضحك الرجل عاليًا ثم قال:

- نعم أنا الغول طلال زوجكِ يا وصال.

ثم أطلق عدة ضحكات متتالية وهو يشير إليّ بالانصراف ولكن حذرني ألا أتأخر عليه فهو يشعر بالجوع الشديد ويجب أن أجهز له الطعام.

نظرت إلى الأواني حولي، كانت فارغة ومتفحمة تمامًا ولم يكن هناك كسرة خبز حتى فسألته:

- وأين ذاك الطعام الذي سأحضره لك؟

صاح بغضب:

- يا وصال، لا تتلاعبي بي، اذهبي كما تفعلين كل يوم وأتي به، هيا وكفاكِ ثرثرة.

تمتمت بيني وبين نفسي: "ومن أين لي أن آتيك به أيها الغول المتوحش، زوجتني لغول يا شعضوض أيها الماكر........ يا بائسة يا تعيسة يا وصال.

فتحت الباب وإذ بالرياح الساخنة تستقبلني بالعناق وأشعة الشمس تكاد تلحف وجهي من شدة حرارتها، جاءني من الخلف صوت الغول طلال وهو يصيح:

- ارتدي النقاب يا امرأة.

أسقطت النقاب على وجهي وكادت أنفاسي تنقطع حين وضعته فكان سميكًا وثقيلًا مع الهواء الساخن، نظرت حولي لأجدني في بقعة صحراوية فارغة إلا من جبل وحيد أراه من على بعد وبجوارنا منزلان صغيران وأمام كل منزل بعض الماعز والخراف والقليل من الجمال، عدا منزلنا فلم يكن أمامه سوى بعض ركام الحطب.

خرجتْ فجأة إحدى السيدات من منزلها ووقع نظرها عليّ ثم قامت بشيء عجيب؛ لقد بصقت في وجهي، شيء مقزز وعجيب أليس كذلك؟!

وقفتْ السيدة ثم سارت بضع خطوات تجاه المنزل المجاور لها ثم قالت:

- يا نفيسة، تعالَي يا صديقتي.

فتحت إحداهن الباب الآخر ثم نظرت إليّ وصاحت:

- إلى متى يا حسناء سنضطر لرؤية ذاك الوجه الشيطاني، تخرج كل يوم لتحاول الحديث مع أحد من أزواجنا فبعد ما حدث مع زوجها الغول طلال أصبحت كالحيوان المثير للشفقة وتريد التودد لأي رجل.

قالت حسناء:

- نعم، لعنها الله ولعن زوجها، كم أتمنى موتهما، لقد حلت اللعنة على المكان كله بعد ما حدث، ولم نرَ قطرة ماء تسقط على الرمال منذ أعوام، إذا رحل أتى الخير من جديد ويعود إلينا جيراننا وأحباؤنا ليعمروا المكان مرة أخرى.

وقفت أسمع كلماتهما المشينة دون أن أفهم أي شيء فخطوت تجاههما لأسألهما أين أنا وفي أي زمن وماذا حدث مع الغول وزوجته تلك، وما إن اقتربت منهما وأشرت إليهما ليتوقفا قليلًا حتى أسرعت كلتاهما إلى داخل المنزل وأغلقا بابهما بقوةٍ في وجهي.

اندهشت من أفعالهما ولكن من الواضح أن هناك حدثًا مشينًا وقع هنا ويجب عليّ معرفته وبالتأكيد هذا هو اللغز المرجو حله، ولكن من أين أبدأ وكيف؟ وماذا أفعل مع هذا الغول المخيف بالداخل؟

سرت بضع خطوات أخرى بعيدة عن البيت، أفكر في ذاك الطعام، من أين أحصل عليه وإن لم أحصل عليه بالتأكيد سيجعلني الغول طلال إحدى وجباته.

سرت أحدث نفسي بصوتٍ عالٍ كالمجانين وأقول: "لو تعيرني إحداهن بعض الخبز، ترى هل كانت تتسول زوجة الغول لأجله! أم كانت تخطف صغار الأطفال كي تطعمه، يا ويلي هذا لا يطاق، أم كانت تسرق الخراف والماعز أم ماذا..................؟".

- "لا ذاك ولا ذاك"

انتفضت من موضعي حين وقعت على مسامعي تلك الجملة فمَن هناك، إنه شخص ما يأتي من بعيد يمسك بيده عصا ويسير أمامه بعض الخراف والماعز، التقطت أنفاسي وحدثت نفسي: "وأخيرًا هناك من يتحدث معي".

اقترب الرجل مني واتضحت معالمه، كان طويلًا وداكن اللون، ذا لحية وشارب ويضع شماغ على رأسه، ومن الواضح أنه يشتغل برعي الغنم في ذاك المكان، قلت له:

- السلام عليكم يا أخي.

- وعليكم السلام ورحمة الله يا وصال.

قالها بدهشة ولا أدري لمَ وكيف عرف اسمي، فسألته:

- هل تعرفني؟!

ابتسم بسخرية ثم قال:

- أنسيتِ أم تتناسي؟!

قلت بهدوء:

- أنظر يا هذا خذ في الاعتبار أنني جننت أو أي شيء ولكن رجاء سأطرح عليك بعض الأسئلة لتجيبني عليها وتصنع معروفًا رجاء.

اندهش الرجل وصمت للحظات ثم قال:

- حسنًا سأجاريك يا وصال لنرى ماذا تريدين، نعم أعرفك فأنت زوجة طلال أقصد الغول طلال وأنا فيصل زوج حسناء جارتكما، وأنا كنتُ......... لا عليك ماذا تريدين؟

- لماذا تعاملني تلك النساء بتلك المعاملة؟ وما قصة زوجي؟ وماذا أفعل كل يوم معه.........

قاطعني بدهشة قائلًا:

- ما كل هذا وكأنك جئتِ من عالم آخر ولا تعرفين أي شيء!

ـ رجاء أجبني، وأين أنا وفي أي زمن؟ أقصد أي سنة؟ سامحني ولكنني نسيت فجأة كل شيء.

ـ لماذا؟ ماذا فعل معكِ ذاك الغول؟ هل سحركِ أم ماذا؟

ـ رجاء أجبني قبل أن يأتي أحدهم.

ـ لا يأتي أحدهم إلى هنا فقد فر الجميع من شدة الخوف ومكثنا نحن فقط فليس هناك مكان آخر نأوي إليه فنحن نرعى الغنم هنا منذ أعوام ولكننا نتجنب الحديث معكما، أقصد هم من يفعلون ذلك أما أنا فأتمنى اللحظة التي تحادثينني فيها مثل الآن.

ـ يا أخ فيصل رجاء أجبني سريعا.

ـ حسنا يا وصال نحن في محافظة العارضة على ساحل المملكة العربية السعودية ونبعد حوالي ٧٠٠ كيلومتر جنوب غرب العاصمة "الرياض".

ـ المملكة العربية السعودية! وفي أي سنة؟

ـ نحن في عام ١٣٧٤ هـ .

قلت بصوت خافت:

- أي هناك فارق ٧٠ عامًا.

قال فيصل بدهشة:

- ماذا قلت للتو؟

ـ لا عليك يا أخي، أكمل حديثك.

ـ لقد أتى بكِ طلال إلى هنا وأنتِ عروس منذ سبعة أعوام، كنتما تعيشان في سلام وحب وكل من كان يعيش هنا كان يحبكما ويتودد إليكما، ونحن كذلك ولكن تبدل الحال منذ عام واحد.

ـ ماذا حدث؟

ـ حقًّا لا تتذكرين؟! ماذا فعل بكِ ذاك الغول؟

ـ أكمل ماذا حدث؟

ـ كنتِ قد أنجبتِ طفلًا جميلًا، وكان عمره وقتها خمسة أعوام، كان زوجك مثلنا يرعى الغنم وتعيشان في هدوء، ثم فجأة وفي يوم ما اختفى طفلك أثناء لعبه مع الأطفال خارج المنزل، هرولنا جميعا لنبحث عنه في كل بقعة حولنا ولم نجد له أثر، جن جنونكما وأمرتِ زوجك بالصعود إلى الجبل للبحث عنه، ظننتِ أن الجن قد اختطفه.

لا أعلم لماذا دمعت عيناي وكأن هذا ما حدث معي بالفعل، على الرغم أنني لم أجرب من قبل شعور الأمومة وكم الألم والحزن الذي تشعر به الأم حين تفقد فلذة كبدها، تنهدت بألم ثم أشرت إلى فيصل ليكمل حديثه.

ـ كان زوجك يهاب الصعود لذلك الجبل والجميع كذلك ولكنك أصررتِ على رأيك وأرغمته على الصعود.

ـ أي جبل ولماذا تهابونه؟

ـ جبل "الدُّقْم".

ـ اسمه غريب وأين هو؟

ـ جبل الدقم معروف هنا بجبل الجن، وهو أعلى جبل في المملكة العربية السعودية، يبلغ ارتفاعه حوالي ٢٨٣١ مترًا واسمه الدقم نسبة للجن الذي يحكمه هناك وهو كبير عشيرة الجن، الذاهب هناك مفقود ولا نعلم كيف يعيشون وكيف يقتلون من يقترب منهم.

ـ وهل صعد طلال؟

ـ نعم فالجميع رجح فكرة خطف الجن لطفلك فإنهم يحتاجون لقرابين من البشر بشكل دائم، وما كان من طلال إلا تنفيذ أوامرك فقد كان متيمًا بكِ وصعد إلى الدقم واختفى هناك لمدة شهرين فعرفنا أنه لقى مصرعه على يد الجن، وجلستِ تولولين كل يوم أمام المنزل منتظرة ظهور ابنك أو زوجك وأثناء ذلك حاولنا أن نواسيكِ بكل الطرق ولكنك كلما رأيتِ أحد أطفالنا تهرولين خلفه لكي تضربيه، هابك جميع الأطفال وخبأناهم بعيدًا عن عينكِ ونفر منكِ الجميع إلا أنا، لقد أحببتكِ كثيرًا وطلبت منك الزواج بعد اختفاء زوجك فهو في اعتقادنا وقتها أنه ميت ولكنكِ رفضتِ.

ـ ومتى عاد طلال؟

ـ كما قلتُ من قبل اختفى لمدة شهرين ثم ظهر فجأة أمامنا بهيئته المرعبة تلك، حاولنا أن نفهم منه ماذا حدث ولكنه لم يجِبنا بل صاح في وجهنا بغضب شديد وكأنه الشيطان نفسه ومن وقتها وأنتم على هذا الحال والغريب أنكِ لم تتحدثي مع أحد منذ تلك اللحظة ولأول مرة تتحدثين معي، أنا في حالة من الدهشة حقًّا.

ـ حسنًا هل رأيت من قبل حالي أنا وطلال معًا كيف يكون أو...........

ـ من وقتها شعرتِ بالذنب تجاهه تقريبا وبقيت عبدة تحت أقدامه، يقوم دومًا بإهانتك وضربك، يختفي يوميًّا من المساء حتى الصباح ولا أحد يدري أين يذهب.

ـ ولماذا أطلقتم عليه اسم الغول؟

ـ لأنه عاد بتلك الهيئة المخيفة فلم يكن هكذا من قبل، كان مفتول العضلات ووسيم الملامح.

ـ وماذا يأكل وأين الخراف والماعز خاصته أقصد خاصتنا؟

ـ اختفت الخراف والماعز بشكل يومي حتى أصبحتما مفتقرين لأي مصدر رزق ويوميًّا نشاهدكِ وأنت تجمعين الحطب ثم تشعلينه ومن ثم تطفئينه بالماء ثم تنتشلي بعضًا منه وهو متفحم وتضعينه في وعاء وتدخلي بيتك.

ـ هذا طعامنا؟!!!!

ـ لا، طعام الغول أما أنتِ فأنا أقوم بشكل يومي بوضع بضع من كسرات الخبز وأي شيء نأكله أمام بيتك حينما رأيتك تضعفين يومًا بعد يوم وبدأتِ تستعيدين صحتك من جديد وأنتظر ذاك اليوم الذي ستتحررين فيه كي تصبحي............

قاطعه صوت حسناء وهي تصيح فيه بغضب:

- يا فيصل...... ماذا تفعل عندك؟ أتتحدث مع تلك اللعوب، سأريك ماذا سأفعل.

ارتبك فيصل وهرول إليها وأغلقت خلفهما الباب بقوة.

جلست مكاني أفكر فيما قاله فيصل، ما تلك القصة الغريبة؟! ترى ماذا حدث مع طلال أعلى الجبل ليعود هكذا؟

وكيف لشخص عادي أن يعيش على طعام الحطب المتفحم فقط دون أن يتسمم أو يموت؟

وكيف سأقضي بعض الوقت معه بتلك الوحشية والإهانة؟

وماذا لو.......؟

يا إلهي.

ماذا لو حاول أن يلمسني وأجبرني على هذا؟ فبالتأكيد يفعل هذا مع زوجته، يجب أن أحل اللغز في أسرع وقت حتى أختفي من هذا الكابوس، أخشى أن أظل حبيسة هنا فمن الواضح أنه لغز معقد وبالأخير سألقى حتفي مع هذا الغول طلال.

قررت إشعال بعض الحطب حتى أطعم هذا الغول كما كانت تفعل زوجته، وبالفعل جمعت البعض منه بعد إشعاله ووضعته في وعاء لأقدمه له، ووجدت كما قال فيصل بعض الطعام لي أمام باب المنزل.

أثناء دخولي المنزل سمعت أحدهم يؤذن لصلاة العصر وحينما دلفت للداخل رأيت "طلال" في حالة غريبة، رأيته يضع يديه على أذنيه بقوة وكأنه لا يريد سماع الأذان، فاقتربت منه بحذر وهمست له:

- يا طلال ألن تصلي العصر؟

نظر إلي بعينين شيطانية ثم صاح في وجهي وأمسك بكتفي بقوة كادت أصابعه تخترق لحمي وقال:

- منذ متى وأنتِ تذكرينني بالصلاة؟ أنسيتِ ماذا يحدث حين أسمعه، لا أريد سماعه أو سماعك وإياكِ أن تذكريني به مرة أخرى فهمتِ؟

أومأت برأسي بهلع ثم همست بهدوء:

- ماذا حدث في الدقم؟

صاح في وجهي مرة أخرى وأخذ يصفعني بقوة وهو يقول:

- لا أريد سماع صوتكِ أبدًا، وإياكِ أن تسأليني مجددًا عن أي شيء مهما كان وإلا دفنتك حية هنا، فهمتِ؟

أومأت برأسي مرة أخرى وبكيت بقوة فكل جسدي يؤلمني بشدة، كاد ذاك الوحش الثائر أن يتسبب لي في عاهة.

مرت عشرة أيام متواصلة دون أي جديد، لا أستطيع التحدث مع أحد ولا أجد حلًّا لهذا الوضع السيئ، يوميا أحضر الحطب المتفحم لذاك الغول، والغريب أنه لم يحاول الاقتراب مني في تلك الأيام، كان يقوم بضربي وتعنيفي دائمًا حتى شعرت باليأس والإحباط ووددت الخلاص من تلك الحياة.

لماذا فعلتِ هذا بنفسك يا وصال؟

من أجل من؟ من أجل حبيب قلبك؟!

ماذا لو عاد وكان شخصًا آخر غير الذي أحببتِه؟

ماذا لو وجدت مشاعره قد تجمدت وتلاشت من ناحيتي؟

ماذا لو عاد وفي قلبه أحد غيري؟

وماذا إن لم يعُد من الأساس؟

ما الفائدة من كل ما أفعله إذا حدث ذلك؟

أنا أتكبد عناء الوصول إليه وأخاطر بحياتي لأجله، ترى.. هل يفعل أي شيء لأجلي في هذا الوقت؟!

بالطبع لا.. كان عليه أن يظل معي، ألا يرحل حينما رفضت الزواج، المحب لا يتخلى من أول محاولة هكذا، عليه أن يحاول ويحاول ويقدم الأفعال قبل الحديث حتى يثبت رغبته في البقاء مع حبيبه، حتى يثبت له أنه لا شيء من دونه وأنه لا يقوى على العيش مع أحد غيره، يريده هو كما هو، بجنونه وعفويته وعناده وصده... يريده كيفما كان أو سيكون، أما عز فلم يحاول مثلي ولا يستحق كل تلك التضحية، فلو حاول ولو لمرة الوصول إلي كنت الآن معه في أمان، لكنه رحل، أفيقي يا وصال لم يعد لِعز أي وجود، تخلي عن طلبك وعما تورطتِ به.

صحت وأنا أبكي بشدة قائلة: - "لا أريد يا شعضوض، لا أريد معرفة مكانه ولا العودة إليه، لا أريده في حياتي، أريد فقط أن أعود لبيتي ونفسي وبلدي من جديد، أعدني يا شعضوض هيا، أعدني...

أغمضت عيني بقوة وفتحتها وأنا أتمنى رؤية حائط منزلي ولكن كما أنا داخل ذلك السجن المقزز وبجوار هذا الغول المتوحش.

يوم جديد مليء بالألم والحسرة في هذا المنزل الكئيب والمخيف، عقلي توقف عن التفكير، كل جزء في جسدي يؤلمني بسبب العنف الجسدي الذي يمارسه معي الغول طلال بشكل يومي ولكن الضرب والإهانة أهون علي من أن يلمسني، ولكن في هذا اليوم حدث شيء عجيب، لأول مرة في ظل ارتفاع درجة الحرارة المستمر والجفاف التام في تلك الصحراء تكتسي السماء بالغيم وتشتد الرياح الباردة وخرج الجميع من المنزل ينظرون إلى السماء في دهشة.

بعد لحظات ضرب البرق والرعد السماء بقوة وبدأت الأمطار تنهمر بغزارة، هرولت أسفل المطر كطفلة صغيرة وأخذت أركض هناك وهناك بسعادة وكأنني أستعيد الأجواء التي افتقدتها في مدينتي الجميلة "الإسكندرية" ونظر إلي الجميع باشمئزاز ونفور كالعادة وأخذت أردد:

"سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، اللهم أخرجني من حولي وقوتي إلى حولك وقوتك"

وفجأة جذبني أحدهم بقوة من رأسي، كان هو طلال، صاح بي وهو يلكمني بقوة:

- "لا تتفوهي بكلمة، لا ترددي الأدعية، لا أريد سماع شيء من هذا القبيل، وإذا ذكرت أي لفظ هنا من تلك الأدعية أو الصلوات أو أي شيء سأذبحك".

وقفت في حالة من الذعر والدهشة والضيق ومجموعة من المشاعر المختلطة وغير المفهومة، فلماذا يفعل ذلك؟!

لماذا يتحول حين سماع أي شيء خاص بذكر الله.

لماذا لم يشعر بالسعادة مثل البقية عند هطول الأمطار؟!

ولوهلة خطر ببالي أنه بغير إنسان، لقد قُتِل طلال الإنسان وتشبه به أحد الشياطين.

فالشياطين وحدها هي من يزعجها ذكر الله وتغضب حين نقوم بفعل أي شيء يرضي الله، كالصلاة والدعاء والمناجاة والذكاة وغيرها من العبادات، نعم لا يوجد تفسير آخر لما يحدث.

كنت أفكر في كل ذلك وهو ما زال يلكمني، وفي تلك اللحظة حل الظلام، فانتبه ونظر تجاه الباب، فهو موعد رحيله مثل كل ليلة حتى الصباح، فتح الباب وخرج كعادته.

في تلك اللحظة ودون تفكير قررت الخروج خلفه وتتبع خطواته ومراقبته حتى أعرف إلى أين يذهب كل تلك الساعات وماذا يفعل.

بدأت أخطو خلفه بخطوات خفيفة حتى لا يشعر بوجودي، سار لمسافة غير بعيدة وبعد لحظات توقف عن السير وأخذ ينظر حوله فاختبأت خلف صخرة كبيرة، ثم راقبته مجددًا حين صرف نظره بعيدًا عني.

جثا على ركبتيه أمام جبل شاهق الارتفاع أعتقد أنه جبل "الدقم" كما ذكر فيصل من قبل.

رفع طلال يده لأعلى وأخذ يتمتم بكلمات لم أستطع تمييزها ولكن بدا عليه أنه يقوم بطقوس ما أو يصلي للجبل أو يتحدث إلى ذلك الجبل، هناك شيء يحدث لا أفهمه، وكلما فعل ذلك يظهر ضوء خافت يشبه النار أعلى الجبل وكأن هناك شيئًا ما يسمعه في الأعلى.

ظل هكذا لساعات حتى مللت مما يفعل دون أن يحدث أي جديد، وغلبني النعاس خلف تلك الصخرة حتى استيقظت مفزوعة حين شعرت بشيء ما يلامس وجهي، كانت إحدى السحالي في الصحراء، صرخت دون أن أدري ثم أمسكت بفمي حتى لا يسمعني طلال واسترقت النظر مجددا ولكن لم يكن هناك أحد، اختفى طلال وأوشك ضوء النهار على البزوغ، بالتأكيد عاد إلى المنزل دون أن أشعر به أثناء نومي.

سألت نفسي: "لماذا يفعل ذلك يوميًّا؟ وما هو الشيء الذي كان يضيء أعلى الجبل؟ يا وصال إذا أردتِ معرفة أي شيء فعليكِ بالصعود أعلى الجبل، ولكن سيعلم طلال بأمر اختفائي وسيبحث عني! ولكن ليحدث ما يحدث، يجب عليّ أن أفعل أي شيء حتى أتخلص من هذا الكابوس".

تحركت تجاه الجبل ثم نظرت إليه لأعلى، فكم هو عالٍ وسيكون مشقة كبيرة عليّ تسلقه، لا بأس يا وصال هيا، ولكن انتظري ماذا لو كان هناك قبيلة من الجن فعلا؟ ماذا لو واجهتِ كبيرهم الدقم هذا؟! ماذا سأفعل معه؟ ولكن لن يكون أسوأ مما رأيته في مدينة سيفار وما حدث مع الشيطان ثبر.

خمس ساعات متواصلة من التسلق وكادت أشعة الشمس تصنع مني خروفًا مشويًّا، ولكن الغريب بينما كنت أتسلق الجبل كان هناك طنين قوي يصم أذني للحظات ثم يتوقف فجأة، ظننت أنه مجرد ضغط جوي عند ارتفاعي شيئا فشيئًا إلى الأعلى، كنت أتوقف قليلًا لألتقط أنفاسي وكم كنت أتوق لبعض قطرات الماء فكادت شفتاي تلتصق ببعضهما من شدة العطش.

أوشكت على الوصول لقمة الجبل وسمعت خرير ماء منهمر يأتي من مكان ما، وقفت أعلى الجبل ولكن لم أجد أي شيء، ولاحظت لونه الأسود المتفحم بالأعلى وكأنّ هناك حريقًا ما قد شب بقمته، كل ما خطر ببالي هو صوت الماء المنهمر، فلن أستطيع مواصلة البحث حتى أرتوي.

سرت لخطوات أخرى ولكن بخطوات بطيئة جدًّا من شدة التعب ومن بعيد لمحت شيئًا ما، كان هناك شق كبير في صخور الجبل فخطوت تجاهه وكلما اقتربت زاد صوت خرير الماء، وعندما وصلت لبداية الشق وجدته عبارة عن كهف ومن الواضح أن صوت المياه يأتي من الداخل.

صوت المياه يعلو وأنا أسير في ممر ضيق بين صخور الجبل وفجأة ظهرت أمامي حية ضخمة جدًّا نهاية الممر ومن خلفها لمحت بحيرة كبيرة تجري بها المياه من حيث لا أدري، وقفتِ الحية أمامي لتحول بيني وبين البحيرة ونظرتْ إليّ بعيون غاضبة ومخيفة وكأنها تنوي التهامي، ارتجفت بشدة وبدأتِ الرؤية تخفت أمامي شيئا فشيئًا حتى فقدت الوعي تمامًا.

فتحت عينيّ ببطءٍ وكانت الرؤية مشوشة أمامي، لمحت عدة خيالات تقف حولي، حاولت تمالك نفسي وبدأت الرؤية تتضح شيئًا فشيئًا وكم تمنيت أن أظل في غيبوبتي حتى الممات من هول ما رأيت.

يقف حولي الكثير والكثير، ليس الكثير من البشر ولكن عشيرة كاملة من الجن في أشكالهم المروعة، لونهم أسود قاتم وأعينهم تضيء مثل اللهب، بعضهم قصير القامة والآخرون أكثر ضخامة، لديهم ذيول طويلة مدببة من آخرها كحد السهام، لديهم قرون كقرون الثيران وأذن كبيرة مدببة، ويمسكون بأيديهم رماحًا كبيرة ويوجهونها تجاهي وهم يرمقونني بنظرات مخيفة.

ارتجفت بشدة من الهلع ولم أقوَ على التفوه، كم تمنيت أن يكون هذا مجرد كابوس وللأسف هو حقيقة أعيشها بكامل وعيي، تحدث أحدهم بكلمات غير مفهومة فحملني اثنان منهم وسارا بي حول البحيرة، لم أصرخ ولم أبكِ، فقط أرتجف وأنظر حولي بهلع.

اقتربا بي من ركن ما مشتعل بالنيران العالية، ثم بدأت النار تهدأ قليلًا وظهر من خلفها كيان ضخم ومتوحش، كان أكثرهم قبحًا، حدثت نفسي: "إنه مجرد كابوس يا وصال، هيا أفيقي"، ثم ألقا بي الجن على الأرض فارتطمت بقوة وهنا علمت أنني أمام رعب لم أشاهده من قبل.

اقترب مني كبيرهم وزمجر بقوة اهتزت من شدتها أركان الكهف، نظر إليّ بغضب ثم اقترب مني قليلًا حتى شعرت بحرارة عالية تكاد تحرق جسدي ثم قال:

- من الذي يجرؤ على المجيء إلى عشيرة الدقم، ألا تعلمين يا صغيرة أنكِ في حضرة كبير الجان وأنكِ في مملكته وسط عشيرته الآن؟

أشرت برأسي بالنفي وساد الصمت قليلًا حتى صاح بي:

- لماذا جئتِ إلى هنا؟

خرجت الكلمات بصعوبة من فمي وقلت بتلعثم وذعر:

- جئتُ كي أعرف ما حدث مع الغول طلال وطفله، جئت أبحث عن الحقيقة.

ضحك الدقم بصوت عالٍ ومخيف ثم قال:

- ولماذا تريدين معرفة ذلك؟

- كي أعود لموطني.

- موطنك؟!

- أنا من جمهورية مصر العربية من مدينة الإسكندرية ومن زمن آخر لقد..........

قاطعني بضحكاته الساخرة ثم قال:

- لقد فعلها هذا الجني اللعوب مجددًا.

شهقت من فرط الدهشة ثم وقفت أمامه وتمالكت نفسي ثم قلت:

- أنت تعلم بأمر شعضوض؟! هل فعل ذلك مع أحدهم من قبل؟

ـ نعم... لقد حضر إليّ الكثير والكثير من أمثالك للبحث عن الحقيقة.

ـ وماذا حدث معهم؟!

ـ لا شيء يا صغيرة، لقد أخبرتهم بما حدث ثم أحرقتهم حتى تفحموا تمامًا ثم التهمتهم.

ضحك مرة أخرى بسخرية، وأنا أقف في ذعر وقد تساقطت الدموع بغزارة على وجنتي محدثة نفسي: "أتلك هي نهايتك يا وصال، تموتين متفحمة من قبل كبير الجان وفي عالم غير عالمك، لقد علم شعضوض بهذا الأمر، لقد علم أنني لن أعود وسيفوز هو، وماذا تنتظرين من الجن يا وصال؟ وماذا تنتظرين من حظك العسر، تبًّا لكِ أيتها البائسة التعيسة".

صاح بي الدقم:

- لمَ الصمت يا صغيرة، لا تخافي فيمكنك النجاة، كما فعل طلال من قبل وغيره.

لمعت عيني فجأة وسألته:

- كيف لي هذا؟

ـ بالولاء والطاعة، تعبدينني وحدي وتقدمين لي القرابين، وتأكلين مثلنا وتشربين من ماء حميم.

ابتلعت ريقي والتقطت أنفاسي بعدما فهمت ما حدث، لقد أمر الدقم "طلال" حين صعد إلى هنا للبحث عن طفله بالطاعة والعبادة، ووافق هو وكفر، لذلك لا يأكل سوى الفحم مثلهم ولا يقوى على ذكر الله أبدًا حتى لا يغضبهم، لقد عاهدهم على الكفر لبقية حياته والآن بالفعل أصبح غولًا كافرًا ومقززًا، كيف لمؤمن أن يفعل ذلك؟!

نظر إليّ الدقم في خبث ثم قال:

- أنتظر إجابتك، ماذا ستفعلين؟ هيا ليكون ولاؤك لي وسأعطيكِ ذهبًا كثيرًا يجعلكِ ملكة لبقية حياتك، لدينا هنا أعظم كنز على وجه الأرض داخل جوف جبل الدقم، سأعطيك منه الكثير والكثير حتى تكتفي.

ـ وهل حصل طلال عليه؟

ـ لا لم أعطِه لقد عاهدنا على عدم ذكر الله حتى الممات وإن حاول فعل ذلك نعذبه أشد العذاب، ولذلك من يوم تقديم طفله كقربان يأتي هنا حتى يتنصل من العهد ويطلب العفو عنه ولكنه يغضبني كثيرًا فأخيفه بغضبي ومن ثم يرحل، لم يطعني حتى الآن واكتفى بعدم الطاعة لله وذكره، لذلك لم أكافئه وتركته ليعيش فقط.

ـ لقد قلت تقديم طفله كقربان، هو من أتى بطفله إلى هنا؟!

ـ بالطبع لا يا صغيرة، إنها هي من قدمته لنا وتفعل ذلك كل ليلة قمرية.

ـ هي من؟

ـ حسناء....

صعقت مما قال الدقم وقلت بدهشة:

- حسناء تقدم قرابين الأطفال لك؟! حسناء زوجة فيصل؟

ـ نعم فهي من أهم أتباعنا، ولكنها قدمتِ الكثير والكثير؛ كلّ أطفال قبيلتكم، ولذلك فر الجميع بأبنائهم، وحتى لا أشق عليها أمرتها بذبح شاة بدلًا من الأطفال.

ـ الآن فهمت.

ـ وبعد فهمكِ ومعرفتكِ ماذا تنوين؟ طاعتي أم وليمتي؟

ساد الصمت قليلًا وأخذتُ أفكرُ في مخرج من تلك الورطة وفجأة لمعتْ في ذهني فكرةٌ وعزمتُ على تجربتها وليكن ما يكن فلا يوجد أمامي حلٌّ آخر.

وقفت بقوة وثقة أمام الدقم وقلت له:

- بكلّ خبرتك وقوتك تلك ألم تكتشف أنني غير جميع من قابلتهم من البشر من قبل؟!

اندهش الدقم ثم قال:

- كل ما لفت انتباهي أنكِ جريئة عمن رأيتهم من قبل.

ـ أهذا فقط؟

ـ وهل يوجد أكثر من ذلك؟

ـ نعم، فأنا ساحرة من أقوى الساحرات ومعي أقوى ملوك الجان وأستطيع استحضار أي منهم في وهلة، أتدري أنا هنا ليس كما زعمت بأمرٍ من شعضوض وبسبب حيله، فهو مجرد خادم لدي وأنا استغللته لجمع أكبر قدر من كنوز العالم، الكنز الذي لديك لا شيء بجوار ما أجمعه، ولدي الآن كنز أكبر من كنزك، فلمَ لا نعقد اتفاقًا أنت تتركني أرحل وأنا أجلب لك كنوزي الكبيرة؟

ضيق الدقم من نظراته ثم قال بخبث:

- أتدرين إن كنتِ تتلاعبين بي ماذا قد أفعل بكِ.

نظرت حولي على بقية الجان ثم طلبت من الدقم أن نتحدث بعيدًا عنهم عند حافة الجبل.

اندهش الدقم من مطلبي ثم قال:

- لا أعلم سبب ذلك ولكن لا بأس فليس هناك مفر.

وقفنا عند حافة الجبل وارتبكت قليلًا محدثة نفسي: "ماذا ستفعلين الآن؟ أتلقين بنفسك من أعلى الجبل كما فعلتِ مع ثبر من قبل-فلقد حللت لغز الدقم وعلمت ما حدث مع طلال وولده- لأستيقظ في بيتي مرة أخرى؟

ولكن انتظري أيتها البائسة فماذا لو أن هناك أمرًا ما معلق لم ينتهِ بعد، ستصبحين أنتِ حينها قربانًا للدقم، عليكِ أن تجدي حلًّا سريعًا يا وصال".

فجأة لمحت أحدهم يجر شاة ما أسفل الجبل، أمعنت النظر وأدركت أنها هي، تلك اللئيمة حسناء، ولكنّ الدقم لم يلمحها، شعرت بالغضب الشديد ثم نظرت إلى الدقم قائلة:

- سأريك شيئًا من قدراتي، أتعلم أن حسناء تخدعك، وتوهمك بالولاء والطاعة، أراها يوميًّا وهي تصلي وحين تساقطت الأمطار ظلت تتضرع إلى الله وتبكي فرحًا، ألم يصلك الدعاء والتهليل.

ـ نعم شعرت بذلك، أكانت هي؟

ـ نعم هي بل الأكثر من ذلك أن زوجها فيصل هو من يرفع الأذان يوميًّا وهي لم ترده أبدًا.

شعر الدقم بالغضب الشديد ثم قال:

- سأكلف أحد خدامي لإحضارها في الحال لأتحقق مما تقولين و.......

قاطعته سريعًا وقلت بخبث:

- لمَ قد تأمر أحد خدامك وأنا هنا يمكنني فعلها في لحظة ولن يقتصر الأمر على ذلك بل سآتيك بقربان عظيم معها كهدية مني لتأكله اليوم مع طبقك المفضل من الفحم.

ـ أتستهزئين بي؟

ـ بالطبع لا... أنظر ماذا سأفعل.

أغمضت عيني للحظات وافتعلت بعض الحركات وتمتمت ببعض الكلمات الغريبة التي عرفتها من قبل من قراءاتي الكثيرة في المخطوطات القديمة.

بعد لحظات لمحتُ حسناء تذبح الشاة فنظرت إلى الدقم وشهقت بقوة وقلت:

- ها هي، أتت إليك في الحال بأمري وها هي الذبيحة الكبيرة، هما لك الآن وهذا أكبر إثبات لصدق حديثي.

نظر الدقم أسفل الجبل فوجد حسناء وبجوارها الشاة المذبوحة، اندهش بشدة ثم نظر إلي مرة أخرى وقال:

- وكيف لي أن أتأكد من أنكِ الفاعلة فربما جاءت كعادتها كل ليلة قمرية لإحضار القربان.

- وهل اليوم يوافق الليلة القمرية؟

ساد الصمت قليلًا ثم نظر إليّ الدقم قائلًا:

- لا... لم يحن الوقت بعد.

لا أدري كيف قلت ذلك أو كيف رتبه القدر لي ولكنها مشيئة الله، نظرت إلى الدقم بثقة ثم قلت:

- أرأيت؟

- حسنًا يا وصال، سأحضرها في الأعلى الآن وسأسمع منها أولًا وبعدها سأفكر في أمرك.

شعرت بالقلق في تلك اللحظة وبعد لحظات أتى أحد خدام الجن بحسناء مع الشاة المذبوحة.

كانت حسناء ترتجف بشدة من الهلع ووقفت أمامنا وهي تنظر في ذعر ودهشة ثم قالت لي:

- أنتِ هنا؟ أنتِ أيضًا من خدام الدقم؟

ضحكت بسخرية ثم قلت:

- نعم أيتها اللعوب، لقد فضحت أمرك عنده وأخبرته عن عصيانك له أنتِ وزوجكِ.

صاحت بقوة:

- لا... لم أعصِه أبدًا، إنها تحاول الخلاص مني يا سيدي.

صحت في وجهها:

- اصمتِي يا كاذبة، فأنا من أحضركِ إلى هنا الآن ومعكِ تلك الشاة بأمر من خدامي الأرضيين وبسحري.

- إنها تكذب يا سيدي، ليست بساحرة، إنها زوجة طلال.

ضحكت بسخرية مرة أخرى ثم قلت:

- أنا لست بزوجة طلال ولا علاقة لي بذاك الطفل الذي قدمتِه قربانًا منذ سنوات، أنا زوجة ابن الشيطان ثبر.

نظر إلي الدقم ثم قال بدهشة:

- أحقًّا ثبر هو زوجك؟!

- نعم وأذهب إليه في سيفار من وقت لآخر.

صاحت حسناء:

- كذب يا سيدي إنها أمام أعيننا منذ سنوات.

صاح بها الدقم:

- لا أحد يعلم بوجود ثبر في سيفار سوى مملكة الجن فقط، أنتِ من تكذبين يا حسناء، لقد كان العهد أن تكوني طوعًا لي وتجعلي زوجك يَعرِض عن ذكر الله، وأصبح هو مؤذن المكان و.....

قاطعته قائلة:

- وكان يطعم زوجة طلال يوميًّا كنوع من الصدقة وأيضًا لأنه متيم بها ويريد الزواج منها أو مني، فزوجته لا تروق له.

صاحت حسناء بغضب:

- كاذبة فلم يفعل ذلك قط، وأنا طوع الدقم وأتيت إليه بالشاة حين شعرت أنه سيغضب لو شعر بسعادتنا عندما سقطت الأمطار.

قاطعتها قائلة:

- أرأيت لقد هللوا وشعرتْ بالسعادة وأخذت تردد الأدعية مطولًا.

ـ كاذبة.

نظرت إلى الدقم وقلت بحزم:

- أعلم أنك تشعر بقوتي الآن وتعلم الحقيقة في قرارة نفسك، دعني أحضر إليك الكنز الكبير ليكن معك وتسيطر على كل كنوز العالم، وليس ذلك فقط بل سأخبرك بمكان كنوز الملك سليمان أيضًا.

لمعت عين الدقم بالوهج الأحمر ثم قال:

- حقًّا؟

ـ نعم، وأنت قوي ويهابك الجميع وإن فشلت ستعرف كيف تأتي بي إلى هنا مجددًا.

ـ نعم أعرف وشعضوض أحد خدامي.

ـ شعضوض خادم صغير وماكر وضعيف فأنا أستغله في أعمال تافهة، سأجعلك تقابل زوجي ثبر لتجتمع قواكما معا.

ـ حسنًا، لنرى ماذا ستفعلين يا وصال؟

صاحت حسناء:

- كاذبة يا سيدي لا تتركها.

أمر الدقم الخدم بحملها وإلقائها في النار لتكون طعامًا لهم مع الشاة، وطلبتُ منه أن يتركني لأنفذ مطلبه، وبالفعل تركني لأعود إلى منزل طلال، وأثناء سيري كنت أردد طوال الوقت بعض آيات القرآن والأدعية.

وصلت إلى المنزل ووجدت "طلال" في انتظاري بأعين يملأها الشر، هرول تجاهي وأمسك بي بقوة وهو يقول:

- أين كنتِ أيتها العاهرة؟ ماذا كنتِ تفعلين كل هذا الوقت بالخارج وأين طعامي؟ سأكسر عظامك الآن حتى لا تقويين على التحرك.

صحت به قبل أن يضربني وقلت:

- كنت مع الدقم.

تسمر طلال في مكانه ثم قال:

- كنتِ عند الدقم! وعدتِ سالمة هكذا بعد عدة ساعات، أنتِ تكذبين.

ـ لا أكذب يا طلال وتتبعت خطواتك حينما ذهبت إلى الجبل الذي يحكمه بعشيرته وأصابني الفضول لأعرف ما حل بك منذ تقديم طفلك كقربان له من قبل حسناء.

ـ حسناء هي من فعلت.....؟

ـ نعم حسناء يا طلال قدمت ولدك قربانًا للدقم ومن بعدها أصبحت أنت عبدًا له وتعيش في تلك الحالة المزرية وتأكل طعام الجان وتعرض عن ذكر الله.

ـ سأنتقم منها ومن زوجها، سأشرب دماءهما.

ـ حسناء كانت طعام الدقم اليوم، لقد فعلتها قبلك وزوجها رجل صالح، أبى أن يعصي الله مثلك ومثل زوجته ولم يخشَ شيطانًا ولا جانًّا.

بكى طلال وقال بحسرة:

- أنا مجبر على فعل ذلك فلقد عاهدت الدقم على عدم ذكر الله حتى يتركني أعيش.

ـ وهل تحسب نفسك على قيد الحياة؟

ـ لا ....

ـ يا طلال لقد تمكن الخوف منك وأعلم أنك رجل صالح وليس هناك ما يجبرك أبدًا على الشرك بالله والابتعاد عنه، أنت قضيت تلك الأعوام في وهم كبير، وثأرك في الأساس عند هذا الجن المقزز وأنت بدلا من أن تثأر منه تقوم بطاعته وعصيان الله.

ـ سيقتلني.

ـ "تموت بشرف أفضل من أن تعيش هكذا كغول وتخسر آخرتك أيضًا، يا طلال، الدقم ضعيف وكل الجان والشياطين أضعف منا كبشر، هو مختص بمملكته فقط عند الجبل ولا يستطيع فعل أي شيء بعيدًا عن الجبل، فلماذا ترك فيصل دون أن يمسه؟

ولماذا ترك جاره الآخر وزوجته وهما يعبدان الله؟

فكر قليلًا... لأن الله يحفظهما فالله يقول:

{وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}[1]

ويقول أيضًا: {فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا}[2]

وقال في سورة البقرة:

{الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[3]

يا طلال لقد خرجت من جبل الدقم الآن سالمة لأنني محمية من الله ووثقت به وكنت قوية بإيماني، أما أنت كنت ضعيفًا وإيمانك ضعيف ولهذا أنت ميت على قيد الحياة حتى تذهب إلى الجحيم".

---

[1] البقرة:١٠٢

[2] الجن: ١٣

[3] البقرة:٢٦٨

ـ وماذا أفعل يا وصال؟

ـ عد إلى الله واستغفر لذنبك يا طلال، وارحل من هذا المكان بكل ذكرياته البائسة، وأنا على ثقة كل حياتك كلها ستتبدل لن يمسك مكروه مجددًا.

ابتسم طلال وقال:

- حقًّا يمكنني العيش هكذا؟

ـ نعم يا طلال ثق بي، والله إن الله لينصرك على كل من حولك بقوة إيمانك، فلتحج بيت الله وشد رحالك إلى هناك حتى وإن كانت المسافة بعيدة.

وفجأة سمعنا فيصل يؤذن لصلاة المغرب ولأول مرة أرى "طلال" يبتسم بعيون دامعة فقلت له:

- هيا يا طلال، أرأيت... الأذان لم يسبب لك أذى كما كنت تفعل من قبل، وابتسمت حين سمعته لأنك شعرت بالراحة، ولم يحضر الدقم لقتلك، أتعرف لماذا؟ لأنك استحضرت الإيمان في قلبك من جديد، هيا قم لنصلي معًا ولتتناول طعامًا آخر فاعلم تمام العلم أنك تشتهي الطعام بكل أصنافه، هيا.

وبالفعل توضأ طلال وأنا أيضًا وكنت أبكي بشدة حين رأيته يصلي أمامي، حين رأيته إنسانًا مرة أخرى وليس غولًا يهابه الجميع، سجدت لله شاكرة فضله ونعمته وأنا أبكي بسعادة وخشوع وبعد أن انتهينا من الصلاة وسلمت عن يميني وعن شمالي شهقت بذهول ودهشة مما رأيت.

نعم كنت هنا في بيتي وفي غرفتي أجلس على الأرض وأسفلي سجادة الصلاة الخاصة بي، أجهشت في البكاء مجددًا حتى قاطعني من يقول:

- أحقًّا ستتخلين عن حلمك في عودة عز؟

كان هو شعضوض يجلس على فراشي مبتسمًا بخبث، فنظرت إليه دون أن أتفوه فاقترب مني وهو يقول:

- سمعتك وأنت تصرخين عاليا وترددين ذلك حين كنت هناك، ولكن يا وصال أنا حقًّا منبهر من ذكائك ودهائك فالجميع فشل من العودة سالمًا من هذا اللغز وأنتِ الوحيدة التي استطاعت حله والعودة منه رغم صعوبته.

وقفت أمامه بتحدٍّ وقلت:

- لأنني قوية بالله أيها الماكر.

ـ حسنًا ولكن العقد شريعة المتعاقدين.

ـ ماذا تعني؟

ـ أي هناك اتفاق بيننا وشرط يجب عليكِ تنفيذه، عليكِ أن تكملي اللعبة حتى تنتهي ولا تستطيعين صرفي فسوف أدمرك وكل هذا مدون بالكتيب.

أطلقت ضحكات عالية بسخرية ثم قلت:

- يا شعضوض من وقفت أمام المشعوذين في تلك العمارة وأمام شبح دهب وأمام الشيطان ثبر وكبير الجان الدقم لن تهابك أنت ولا يشغلني ماذا ستفعل لأنك لا تستطيع فعل أي شيء بي إلا بأمر من الله وأنا أرضى بقضاء الله مهما كان.

صمت شعضوض وظهرت على ملامحه الخيبة فضحكت مجددًا ثم قلت: ولكن......

لمعت عين شعضوض ونظر إلي قائلًا:

- لكن ماذا؟

ـ أريد أن أكمل اللعبة ليس من أجل عز وعيونه بل من أجل لذة ما أفعله، ففعل الخير الذي أقوم به في كل مرة يشعرني بسعادة كبيرة وبالأخص في تلك المرة، كم هو جميل أن تعيد إنسانًا للحياة مرة أخرى وترده عن كفره، أتعلم؟ عليّ أن أشكرك على تلك اللعبة وأيضًا أشعر بأنني تخلصت من مرض الرّهاب بسبب انشغالي بألغازك تلك.

ـ أرأيتِ يا عزيزتي أنني طيب وكريم.

ضحكت بسخرية قائلة:

- نعم يا شعضوض أنت طيب جدًّا ولئيم جدًّا جدًّا، هيا أيها الماكر إلى لغز آخر.

ـ ألا تريدين الراحة قليلًا؟

ـ لا، أتشوق لما بعده.

ـ ولا تريدين سماع أحد الألغاز الخاصة بعز؟

ـ وليكن، لن يضر، هيا تحدث.

ـ حسنًا، يعشق البحر فأمامه بحر وخلفه تراث عتيق وقصة الأكبر.

ضحكت عاليا وقلت:

- لئيم كما قلت يا شعضوض، إلى اللغز التالي.

أولاد تايمة

لم أندهش في تلك المرة حين وجدتني أقف في مكانٍ غريبٍ وسط أناس يرتدون ملابسَ غريبة ويتحدثون بلهجة مختلفة، كان المكان مكتظًّا بالناس، كنت داخل مبنى ضخم والكثير من الناس في مختلف الأعمار، بعضهم يرتدي زيًّا عاديًّا والآخرون يرتدون فوق ملابسهم البالطو الأبيض الخاص بالأطباء، هناك من يجلس ويتألم وهناك من يهرول تجاه باب كتب أعلاه "الطوارئ".

نظرت إلى نفسي لأتفحص ملابسي ووجدتها عبارة عن زي رسمي لونه أزرق ولم أكن الوحيدة التي أرتديه، فكان هناك الكثيرون مني يرتدونه حولي وفهمت من هم ومن أنا؛ هم ممرضون بهذا المستشفى الكبير وأنا أيضا كذلك، واللغة التي يتحدثون بها أعرفها جيدا وهي لغة دولة المغرب، نعم أتى بي شعضوض اللعين إلى المغرب تلك المرة.

نظرت إلى الوقت وكان في الثامنة صباحًا ثم أخذت أبحث بنظري عن أي شيء خاص بالتقويم ولكنني لم أجد أي شيء، وفجأة سمعت أحدهم يصيح بي قائلًا:

- يا وصال ماذا تفعلين عندك؟ أسرعي إلى هنا.

وتلقائيًّا وجدتني أقول:

- فورًا يا دكتور.

شهقت فجأة من اندهاشي لأنني فهمت لغة من صاح بي وأعرفه جيدا وبالطبع عرفتموه مثلي إنه "شبيه عز" كالعادة والغريب أنني تحدثت بطلاقة باللغة المغربية وكأنني ولدت هنا وأفهم كل ما يثرثرون به حولي ولكن المختلف في تلك المرة أنني لا أهاب شيئًا وأيضًا أشعر وكأنني كنت هنا من قبل والوجوه حولي مألوفة، واضح أن اللعبة في تلك المرة مختلفة.

ذهبت حيث كان يقف الطبيب في غرفة الطوارئ، يشبه "عز" ولكن بأعين زرقاء وبشرة شديدة البياض، لقد انجذبت إليه حقًّا، لم أكن أعلم اسمه فنظرت إلى البطاقة التي تحمل اسمه والتي كتب عليها "دكتور ثامر إدريس".

صاح بي:

- ماذا تفعلين بالخارج؟ لدينا اليوم حالات كثيرة بسبب تلك الحادثة التي وقعت على الطريق منذ قليل وعلينا إسعاف المرضى بشكل سريع، هيا يا وصال نظفي جرح هذا الرجل الذي يتأوه هنا لأرى هل سيحتاج لخياطته والتدخل جراحيًّا أم لا.

أومأت برأسي دون أن أتفوه بكلمة، فأنا لا أعلم أي شيء خاص بالطب، ولكنني سرت تجاه الرجل وكان يتألم بشدة ونزف الكثير من الدماء، وفجأة وجدتني ممسكة بمطهّر ما والتقطت القطن في يدي بعد أن ارتديت قفازين، ابتسمت وشعرت بالسعادة فما تلك الهبة الفجائية التي حظيت بها.

قمت بعملي وكأنني ممرضة منذ نعومة أظافري حتى أصبحت من أمهر الممرضات وطوال هذا اليوم لم ألتقط أنفاسي من كثرة الحالات.

بعد انتهاء العمل لم أكن أدري أين سأذهب بعد ذلك ووقفت في حالة من الحيرة حتى جاء من خلفي دكتور ثامر وهمس بجواري قائلًا:

- هيا لأقوم بتوصيلك اليوم، فقد تأخر الوقت وبالتأكيد تشعرين بالإرهاق الشديد.

حدثت نفسي قائلة: "ولكن إلى أين سيأخذني وماذا سأقول له؟".

سار قليلًا أمامي ثم توقف ونظر إلي بعينيه الساحرة ثم قال:

- هيا يا حبيبتي، ماذا بكِ اليوم؟

ـ حبيبته؟ أيعقل؟!

قلتها لنفسي في سعادة وأنا أنظر إليه بابتسامة وتلك المرة سعيدة باختيار شعضوض وأتمنى أن أظل هنا، ولكن توقفت سعادتي فجأة حين فكرت في اللغز، حتمًا هناك شيء سيحدث سيعكر صفو حياتي، ترى في تلك المرة هل سيظهر شبح أم جان أم شيطان، نعم فأنا لا يمكنني الراحة مثل البقية فأنا البائسة وأنتم تعلمون الوصف الآخر.

ركبت السيارة الخاصة بثامر وكانت حقًّا رائعة، سار بنا وهو ينظر إلي من لحظة لأخرى ثم قال:

- ما بكِ اليوم يا وصال؟

قلت بتلعثم:

- لا شيء، أشعر ببعض الإرهاق، من فضلك يا دكتور ثامر ذكرني بتاريخ اليوم.

ابتسم ثامر ثم قال:

- تقولين دكتور؟ يا وصال نحن وحدنا الآن فأين كلمة حبيبي؟ ولماذا تسألين عن التاريخ؟

ارتبكت بشدة واحمرت وجنتي فابتسم قائلًا:

- حسنًا اهدئي يا جميلتي نحن في الخامس من شهر يناير لعام ٢٠٢٣، هل تريدين معرفة الوقت أيضًا؟

ابتسمت قائلة:

- لا داعي يا......... يا ثامر، ولكن هل لي بسؤال آخر؟ أين نحن ذاهبان؟

نظر إلي بدهشة ثم قال:

- أنتِ بالفعل غاية في الغرابة اليوم يا حبيبتي، هل تودين الذهاب معي إلى المنزل بدلًا من المكوث وحدكِ في منزلك، أم أرافقك أنا اليوم؟

اندهشت مما قال محدثة نفسي: "يا ويلي هل أذهب معه لمنزله وهل يبيت معي هو الآخر، لا يمكن أن يحدث هذا".

صاح بي ثامر:

- وصال انظري إلي، لا لن أتركك وحدك اليوم، أشعر أنكِ لستِ بخير.

ـ لا يا ثامر، أنا بخير فقط أريد أن أنام لوقت طويل، لا تقلق.

قرأت أثناء مروري بالطريق يافطة كتب عليها: "ضاحية أولاد تايمة" وعلمت أنه المكان الذي أعيش به في المغرب، كان يقع على مكان يشبه الهضبة أو الربوة الممتلئة بالأشجار والبنايات البسيطة، وفجأة توقف ثامر أمام منزل صغير ثم قال:

- ها قد وصلنا إلى المنزل، هل أنتِ على يقين أنكِ لا تريدينني الليلة معكِ؟

ـ نعم، أقصد سأرتاح قليلا ولا تقلق، أراك في الصباح.

دلفت داخل المنزل الذي أوقفني أمامه وطرقت الباب، كانت دقات قلبي تتسارع فأخشى أن أجدني بين أسرة كبيرة لا أعلم عنها شيئًا، لحظات من الانتظار ولكن لم يفتح أحد، سئمت الطرق على الباب ثم جلست أمامه أفكر فيما قد أفعل ونظرت حولي أتأمل المكان والمنازل المجاورة لي حتى لمحتُ إحدى السيدات وهي تلقي بالقمامة في الخارج ووقعت عينها عليّ فابتسمت وألقت التحية وكأنها تعرفني، فبادلتها التحية ووجدتها تتحرك تجاهي فحدثت نفسي "ما تلك الورطة؟".

وقفت السيدة أمامي ثم قالت:

- ماذا بكِ يا وصال؟ هل تخشين الدخول إلى المنزل مجددًا؟

ارتبكت قليلًا ثم قلت:

- نعم... أقصد لا، ولمَ قد أخشى منزلي؟

اندهشت السيدة ثم جلست بجواري وقالت:

- يا عزيزتي لمَ لا تصدقين ما قلته من قبل، لم يمت أخوكِ الصغير بسبب شقاوته ولهوه في الأماكن الخطرة بل تم التخلص منه بعد اختطافه.

قلت بدهشة:

- أخي؟

أردفت السيدة في الحديث:

- نعم، أعلم أنه كل ما تبقى لكِ من عائلتك وأن الوحدة تقتلك ولكن ما ترينه داخل المنزل ما هو إلا رسالة لكِ من العالم الآخر ولذلك إما أن تصغي لما يحدث أو تغادري المكان بكل ذكرياته الموحشة وتتزوجي من الطبيب ثامر.

أومأت برأسي للسيدة وكأنني على علم بكل شيء، ثم غادرتْ قائلة:

- سأترككِ لترتاحي من مشقة العمل وهيا يا عزيزتي ادخلي منزلك ولا تخشي شيئًا، نحن نستأنس بهم ويستأنسون بنا.

ابتعدت السيدة ودلفتْ داخل منزلها وجلست أنا في حالة من الحيرة عما تحدثت عنه، فكرت في مكان المفتاح، فأمسكت بحقيبتي وأخذت أبحث داخلها ولكن دون جدوى، إنها بطاقة هويتي بكل تفاصيل هويتي الحقيقية عدا بلد المنشأ فقد كتب بها "المغرب" وكان بداخلها هاتف محمول فأخرجته بلهفة لأرى ما بداخله.

كان به بعض الأرقام المدونة الخاصة بثامر والبقية أعتقد خاصة بزملائي في المشفى، لا وجود لأرقام تدل على وجود أقارب لي هنا وهذا شيء جيد ومعتادة عليه من الأساس.

فتحت معرض الصور وهذا ما جعلني في حالة من الدهشة فلقد وجدت صورًا كثيرة لي ولكن مع أبي وأمي وأنا في سن الرشد، كان لدي أبوان هنا يشبهان والديّ تماما، دمعت عيني وابتسمت بحنين وكأنني كنت أحتاج بشدة لتلك الصور وكم أود الاحتفاظ بها إلى الأبد.

أخذت أقلب في الصور فوجدت بعض الصور التي تجمعني مع ثامر في أماكن مختلفة وأيضًا صورًا داخل منزل وأنا بين أحضانه وشعرت بالخجل الشديد من نفسي حين رأيتها، ولكن حينما وقعت عيني على صورة معينة اندهشت بشدة فكانت صورة لي مع طفل صغير في عمر السبعة أعوام، كانت ملامحه مألوفة وكأنه يشبه أختي الصغيرة التي توفّت من قبل مع أبي وأمي، كنت أحتضنه بقوة وكأنني أغمره بالحب، بالتأكيد هو ذاك الطفل الذي تحدثت عنه السيدة منذ قليل، ولكن أين ذهب الجميع؟ وهل ماتوا في حادث أيضًا كما حدث من قبل؟!

قلت لنفسي: "حتمًا سيتضح كل شيء يا وصال، ولكن أين المفتاح اللعين فكيف سأدخل المنزل الآن وأنا في شدة احتياجي للراحة، كيف؟".

أخذت أبحث حولي وتحت عتبة المنزل فهناك أشخاص يفعلون ذلك عادة ولكن لا يوجد شيء حتى وقعت عيني على حافة الباب من الأعلى فكانت بارزة إلى الخارج وكان لدي أمل أن أكون قد احتفظت بالمفتاح هناك، وبالفعل تحسست الحافة بأصابعي وأمسكت بالمفتاح، شعرت بالانتصار وقلت: كم أنتِ ذكية يا وصال!

دلفت داخل المنزل وأخذت أتأمل كل أركانه، كان هادئًا وبسيطًا جدًّا ومرتبًا أيضًا، وعلى الحائط بعض الصور الخاصة بالأسرة كما رأيتهم في الهاتف، المصابيح لم تكن تعمل بشكل جيد فكانت إضاءتها خافتة جدًّا والغريب أن إحدى الغرف لم يكن بها مصابيح من الأساس.

اغتسلت وذهبت إلى المبرد لأتناول أي شيء ووجدت بداخله بعض الطعام الشهي، وأثناء جلوسي على الطاولة لتناول الطعام نظرت إلى باب الغرفة المظلمة وحدثت نفسي: "لماذا لا يوجد بداخلها أي مصابيح ولمَ هي معتمة وباردة لتلك الدرجة؟! سيقتلني الفضول لأعلم السبب في وجودي هنا وما اللغز الذي يجب أن أكتشفه؟ وأعلم تمام العلم أنه علي البحث والتقصي، من أين تبدئين أيتها البائسة؟! من أين؟

وقفت وأمسكت بيدي الهاتف وأشعلت الكشاف الخاص به واتجهت للغرفة المظلمة، اقتربت بحرص شديد، دلفت إلى داخلها بخطوات بطيئة.

الجو بارد جدًّا بداخلها بشكل لافت، تبدو كغرفة طفلٍ صغيرٍ، نعم إنها غرفة ذاك الطفل فلمحت صورته على مكتبٍ صغيرٍ بجوار الفراش الخاص به وبعض الألعاب المتناثرة في كل أرجائها، ولكن لماذا هي مبعثرة هكذا رغم عدم وجود الطفل؟

اقتربت من دولاب صغير وشعرت بجسدي يرتجف من شدة البرودة.

مددت يدي لأفتح الدولاب، كان معتمًا من الداخل ولكن لمحت على ضوء الهاتف بعض الملابس الخاصة بالطفل، أمسكت بأحدها بين يدي وفجأة، صعقت بصرخة عالية كادت تصم أذني، صرخة تشبه صرخات طفل صغير، وضعت يدي على أذني فسقط الهاتف منها ثم أغمضت عيني بشدة، وظللت هكذا للحظات حتى سمعت صوتًا يهمس بجواري قائلًا:

- ألم أقل لكِ من قبل أنني أكره الضوء، وطلبت منكِ أن تظل الغرفة معتمة هكذا دائمًا.

فتحت عيني بهدوء ونظرت حولي، كانت الرؤية ضعيفة جدًّا، ولكن على أثر ضوء الهاتف الملقى على الأرض وعلى الضوء الخافت المتسلل من خارج الغرفة لمحت من كان يتحدث، إنه هو، ذاك الطفل في الصور ولكن كانت هيئته غريبة؛ كان شاحب البشرة وممتلئًا بالغبار، وعيناه شديدة السواد، لم يكن بطفل عادي ولكنه كان شبح ذاك الطفل الصغير.

تملكتني القشعريرة فمهما بلغت من قوة لن أستطيع تخطي رؤية شبح أو شيطان أمامي بسهولة، وبعد أن استجمعت قواي نسبيًّا نظرت إلى شبح الطفل قائلة:

- ماذا تريد؟

نظر إلي بغضب قائلًا:

- أتيكِ كل يوم لأخبرك ماذا أريد يا أختي العزيزة ولكنكِ لا تنصتين.

ـ أنصت لي جيدًا، لستُ أختك التي تعرفها، أعلم أنني أشبهها تمامًا، أعلم أنني نسخة منها في كل شيء، ولكنني لست هي، لقد أتيت إلى هنا في مهمة ما ومن أجل شيء ما، من بلد آخر ومن زمن آخر.

ابتسم شبح الطفل قائلًا:

- ما تلك الحيلة؟ أنتِ وصال أختي.

ـ أقسم أنني لست هي، أنا هنا بفعل الجني ولا أدري أين أختك الحقيقية.

ـ أنتِ أيضًا يريدك الجني ليشرب دماءك.

ـ ماذا تقول؟ دماء من؟ لا هذا خطأ إنها مجرد لعبة.

ـ ظننت أنها لعبة مثلك ولكن فوجئت أنها فخ وكانت بطلب من الجني ليشرب دمي.

اندهشت من كلماته تلك فجلست أمامه وقلت:

- هل يمكننا التحدث قليلًا على اعتبار أنني شخص غريب لا يعلم شيئًا مما حدث؟

ـ نعم لنتحدث.

ـ حسنًا في البداية أخبرني ما اسمك يا صغير؟

ـ مازن.

ـ حسنًا يا مازن وأين أبوك وأمك الآن؟

ـ أبي مات منذ ولادتي أثناء عمله في أحد مناجم الفحم فقد وقع حادث هناك وانفجرت به إحدى المفرقعات بالخطأ، وأمي بعد وفاتي تركتكِ وتزوجت من شخص آخر وسافرت معه إلى فرنسا وبقيتِ أنتِ، أقصد أختي وصال وحدها هنا في المنزل، نجلس أنا وهي لنتحدث وحاولت مرارًا أن تفهم ما حدث معي ولكنها اعتقدت أنها تتخيل كل ذلك، إنها لا تصغي إليّ إطلاقًا بل تخشاني وتحاول جمع الأموال للبحث عن منزل آخر تعيش فيه بعيدًا عني.

ـ إن كانت هي لا تصغي فأنا أصغي جيدًا يا مازن ولا أخشى كونك شبحًا فلقد تعاملت من قبل مع الأشباح والجن.

ـ إذا قصصت عليكِ ما حدث هل ستنتقمين لنا؟

ـ لكم؟ من أنتم؟

ـ نحن الأطفال.

ـ هل هناك أشباح لأطفال غيرك؟

ـ هناك الكثير والكثير والجميع يغلق عينه عن الحقيقة لا أدري لماذا.

ـ حقيقة ماذا يا مازن؟

ـ لم نمت هكذا ولكن قُتلنا بطريقة بشعة.

ـ كيف حدث ذلك؟

ـ يجدوننا داخل بئر عميقة ظانين أننا نلقى حتفنا به أثناء لعبنا بجواره ويصعب إخراجنا حتى يفوت أوان إنقاذنا فنخرج من البئر جثثًا هامدة، جفت دماؤها.

ـ من فعل ذلك بكم؟ سمعت من قبل عن الأطفال الذين لقوا حتفهم في الآبار من مختلف الأماكن ولكنني كالجميع ظننت أنها مجرد حوادث.

ـ ليس كذلك، يتم اختيارنا بعناية وخطفنا ثم وضع شيء ما على أعيننا فلا نرى أي شيء، ويتم صنع جرح في أيدينا هكذا لتتصفى دماؤنا حتى تجف تمامًا ثم يقومون بدفننا داخل البئر.

ـ ومن يفعل بكم ذلك؟ ولماذا؟!

ـ لا أعلم من هم ولذلك أنا هنا طوال الوقت بروح هائمة أنا وغيري من الأطفال الذين ماتوا بتلك الطريقة البشعة ومن فترة لأخرى ينضم إلينا المزيد ولن نشعر بالراحة والسكينة حتى يتوقف هؤلاء المجرمون ويتم القصاص منهم، نحن نشعر بالحزن الشديد والغضب الشديد ونريد المساعدة فقط لتظهر الحقيقة.

ـ وأنا أود مساعدتكم والقبض على هؤلاء المجرمين ولكن كيف سأعرفهم؟ ومن أين أبحث؟

ـ ابحثي عن الأدلة، عن شيء ما يربط الجرائم ببعضها البعض، طريقة القتل واحدة، إذًا الفاعل واحد، هناك شيء ما بالتأكيد ستجدينه في طرق قتلنا والتخلص منا، ساعدينا يا وصال نتوسل إليكِ.

أجهشت في البكاء من شدة حزني على هؤلاء الأطفال وعلمت أن اللغز متعلق تلك المرة في العثور على الجاني ويجب أن أصل إليه قبل ارتكاب المزيد من الجرائم ضد هؤلاء الأطفال المساكين ولكن السؤال المعتاد هو "من أين سأبدأ؟"

حاولت أن أغفو قليلًا ولكن هرب مني النوم من كثرة التفكير، ظللت أتقلب عن يميني وعن شمالي في الفراش حتى حل الصباح وانتبهت على صوت الهاتف وهو يرن، كان ثامر هو المتصل وحدثني قائلًا:

- صباح الخير يا حبيبتي، هل ما زلتِ في الفراش؟

- صباح الخير يا ثامر، نعم ما زلت في الفراش ولكن سأكون بالمشفى خلال نصف ساعة.

- حسنًا يا قلب ثامر سأحضر إليكِ لنذهب معًا ولكن قبل أن نذهب أريد أن أتحدث إليكِ قليلًا فقد اشتقت إليك بشدة واشتقت إلى رائحتك.

ارتبكت بشدة وصحت به:

- لا يا ثامر لا تأتِ أبدًا.

- ماذا تقولين؟

- أقصد أن الجيران هنا بدأوا في الحديث عني بشكل غير لائق بسبب مجيئك إلى المنزل وأنا أعيش وحدي.

- بالتأكيد تلك الحيزبون فريال هي من قالت ذلك.

فكرت للحظات ثم قلت:

- نعم هي فريال وبدأت تتجول بين بقية الجيران وتردد كلامًا سيئًا، رجاء لا تحضر إلى هنا مجددًا.

ـ حسنًا لن آتي، ولكن لنتقابل في مكان آخر، لولا وجود أبي وأمي معي لأحضرتك إلى منزلي ولكن سأتدبر الأمر عما قريب.

ـ ولمَ ذلك؟! لتنتظر حتى نتزوج.

شعرت بارتباك ثامر وقال بتلعثم:

- حسنًا ولكن ليس بعد فأمامنا الكثير لنفعله تلك الفترة ومن ثم نفكر في الزواج، سألقاكِ في المشفى عزيزتي.

انقطع الاتصال وأيقنت هنا نوايا ثامر البغيضة وأنه يتلاعب بتلك الفتاة المسكينة التي تشبهني ولكن كيف أخبرها وأنا لن أراها، يجب أن أجعله يبتعد عني دون أن يفكر في العودة مجددًا وعندها سوف أستطيع حماية تلك الفتاة اليتيمة البائسة منه.

كيف لأحدهم أن يجعل الحب مجرد شيء رخيص يسليهم لبعض الوقت ثم يلقوا به وهو مهشم ومقطع لأشلاء لا يمكن جمعها مرة أخرى؟!

نعم فنحن قلوبنا كتلك اللعبة التي يلهو بها الأطفال قليلًا ثم يحطمونها، وإذا تحطمت القلوب لا يجبرها ولا يعيدها كما كانت ألف اعتذار، ليسوا ببشر أيتها البائسة التعيسة بل شياطين الإنس هم من يفعلون ذلك.

خرجت من المنزل لأذهب إلى المشفى فصادفت وجود تلك السيدة، ابتسمت لي مرة أخرى ولكن أنا من اقترب منها تلك المرة وألقيت عليها التحية ثم قلت:

- يا خالة فريال هل هناك أطفال غير أخي مازن لقوا حتفهم بنفس الطريقة مؤخرًا؟

صمتت للحظات وكان يبدو عليها الدهشة ثم قالت:

- هل نسيتِ يا وصال؟ أنتِ تتابعين الأحداث مثلنا تمامًا، الأمر يتكرر كل بضعة أشهر ولكن في ضواحٍ مختلفة.

- حسنًا لقد نسيت من شدة الحزن على أخي.

- حزنك على أخيكِ أم أبيكِ أم أمكِ التي هربت بالأموال وتركتك هكذا.

- أي أموال؟

- ما بكِ يا وصال؟! أنتِ من قلتِ من قبل أنكِ وجدتِ معها أموالًا كثيرة بعد وفاة مازن ولا تدرين من أين حصلتْ عليها في تلك الضيعة الفقيرة ومن ثم هربت مع ذاك الشاب.

- نعم تذكرت ولكن لنعد إلى سؤالي الأول، كيف مات الأطفال الآخرون؟

- ما وصلني من أخبار أنهم ماتوا في آبار مختنقين وعظامهم مهشمة نتيجة سقوطهم، والأماكن هنا مكتظة بتلك الآبار التي تصنعها المياه الجوفية والانشقاقات الأرضية وتحدث في الصخور السميكة فيصعب على فريق الإنقاذ انتشالهم.

- حسنًا شكرًا لكِ يا خالة سوف أذهب للعمل.

- هل رأيت شبح أخيك مرة أخرى.

هنا علمت أن شبيهتي أخبرتها من قبل فابتسمت قائلة:

- لا.. ولكنه سيظل في قلبي دائمًا، إنهم يرحلون ولكن تبقى آثارهم وذكرياتهم ومحبتهم، تبقى ولا ترحل حتى نرحل نحن.

وأنا في طريقي للمشفى أمسكت بالهاتف وأخذت أبحث عن الحوادث التي وقعت للأطفال وبالأخص في الفترة الأخيرة، وليس هناك شيء لافت كثيرًا غير أن جميعهم من أسر فقيرة ويتراوح عمرهم ما بين الخمسة أعوام والسبعة أعوام، جميعهم سقطوا في بئر لعدة ساعات وأحيانا أيام ثم يقوم رجال الإنقاذ بانتشال جثثهم وسبب الوفاة متكرر إما بالاختناق أو الألم الشديد بسبب تهشم العظام أو نزيف حاد بسبب جروح عميقة أثناء سقوطهم، فكيف قتلوا ولماذا تم التخلص منهم رغم فقرهم؟

أي أنهم لم يختطفوا بسبب طلب فدية! ولم يتم سرقة أي أعضاء من جسدهم ولا يظهر عليهم أي علامات للتعدي الجنسي فلماذا يتم قتلهم؟! أم هو سفاح يقوم بفعل جرائم متسلسلة لإشباع رغبته الدموية ليس إلا؟!

قررت جمع كل المعلومات الخاصة بتلك الأطفال، وجمعت كل صورهم بل إنني قررت الذهاب لعناوين منازلهم لأعرف المزيد عنهم والغريب أن كل منزل ذهبت إليه يقوم أهل الأطفال بطردي منه ولا يتفوهون بكلمة وكأنهم يعلمون شيئًا ما ويهابون الإفصاح عنه.

في تلك الفترة من البحث والتقصي بدأت أغيب عن العمل والتهرب من الحديث أو التواصل بأي شكل مع ثامر، شعرت بالنفور الشديد تجاهه، وشعرت بالحسرة لأنه يشبه "عز" حبيب قلبي، ولكنني أخشى أن تتبدل رغبتي تجاه عز من كثرة ما واجهته من قبل أشباهه.

طبعت صور الأطفال كلها بشكل كبير وواضح وعلقتها أمامي على الحائط وأخذت أفكر مليًّا ولكن دون جدوى، وفي يوم ما وقع حادث جديد وبالصدفة كان في الضيعة التي أقطن بها ولذلك قررت متابعة الحدث بنفسي.

هرولت تجاه مكان الحادث وسألت أحد الحشد الموجود هناك عما يحدث فقال:

- إنه طفل صغير كان يلهو بالقرب من بئر لم نعلم بوجودها وهي بئر ضيقة جدًّا، سقط في أعماقه منذ ست ساعات ويحاول رجال الإنقاذ انتشاله.

- هل مات؟

- لا فهو على قيد الحياة، يقولون إنه تحدث معهم وأخبرهم أنه يتألم بشدة ويشعر بالعطش الشديد.

- إذًا فليحاولوا إسقاط زجاجة ماء إليه.

- حاولوا بالفعل وأيضًا أسقطوا بالداخل بعض الطعام.

- أين والداه؟!

- هناك، يقفان مع بقية أطفالهما بجوار هذا الجدار.

ذهبت إليهما لأواسيهما وكانا في حالة يرثى لها من شدة الصدمة، تساقطت الدموع بشدة على وجههما وكانا يرتجفان من الخوف والقلق.

وقفنا جميعا في حالة من الترقب لعل فريق الإنقاذ يستطيع إخراج الطفل.

بعد مرور ثماني وأربعين ساعة استطاع الفريق الحفر وإخراج الطفل ولكن تم إخراجه على ناقلة وقد لفظ أنفاسه الأخيرة والغريب عند إخبار والديه بأمر وفاته لم يصبهما الدهشة أو الصدمة الكبيرة وكأنهما يعلمان أنه ميت من قبل.

وسط الحشد الكبير استطعت التسلل داخل سيارة الإسعاف بعد أن أخبرتهم بكوني ممرضة ضمن فريق الإنقاذ، وفي سيارة الإسعاف كشفت عن وجه الطفل وكانت هنا الصدمة، كان شاحبًا تمامًا وكأنه توفي منذ عدة أيام، وكان هناك جرح عميق في يده، صورت كل جزء به لأتفحصه فيما بعد قبل أن يراني أحدهم لعلني أصل إلى أي شيء.

جلست في منزلي في حالة من التوتر والحزن وفجأة سمعت صوت مازن يهمس باسمي:

- يا وصال.

دلفت إلى غرفته وعلى الضوء الخاف وجدته يمد إلي يده وهو يفتحها أمامي، ظننته يريد مصافحتي فمددت يدي إليه ولكن لم أستطع لمسه فاندهشت ثم وجدته ينظر إلى يديه بدقة لجعلي أنتبه لشيء ما وأخذت أسأله قائلة:

- حسنا ماذا هناك؟ هل يوجد شيء في يدك؟ ماذا تريد أن تخبرني به؟

صمت مازن فدققت النظر إلى يديه وما لفت انتباهي شيء واحد أن هناك خطًّا يقسم يده، إنه خط واحد ليس كمثلنا في أيدينا ثلاثة خطوط، اندهشت ثم حدثت نفسي: "لماذا يلفت مازن انتباهي بتلك العلامة؟".

بعد لحظات اختفى مازن وجلست في حيرة على طاولة الطعام أفكر في كل ما يحدث وكنت قد وضعت أمامي جميع الصور الخاصة بالأطفال الذين لقوا حتفهم بنفس الطريقة وأخذت أمعن النظر بهم.

فجأة رأيت شيئًا ما جذب انتباهي، جميع الأطفال لديهم علامات مشتركة وهو ذاك الخط الواحد في أيديهم وليس هذا فقط فهناك شق طولي أيضًا في لسانهم ووجود حَوَل بسيط في العين، تركت الصور من يدي ثم قلت بدهشة: إنهم أطفال "زوهريين".

فتحت هاتفي لأبحث عن هؤلاء الأطفال رغم أنني كنت قد قرأت عنهم من قبل وما وجدته كان بمثابة صاعقة وبداية لطرف الخيط فيما أبحث عنه.

هؤلاء الأطفال يتم الاستعانة بهم من قبل المشعوذين والدجالين لاستخراج الكنوز المدفونة وتلك هي الأعمار المستهدفة منهم، في معتقدهم أيضًا أن هؤلاء الأطفال ليسوا من بني الإنسان فقد تم استبدالهم حين ولادتهم بأبناء من الجن ولذلك هم مميزون بتلك العلامات عن غيرهم.

ويفعلون ذلك بطرق عجيبة من بينها يقومون بوضع "حرز" يحمل طلاسم معينة في كف الطفل "الزوهري" ثم يأمرون الطفل بالسير في المكان المستهدف حتى يسقط الحرز من كف الطفل فيعلمون أن الكنز موجود في ذاك المكان، والبعض يقول إن الجن يعشق شرب دم هؤلاء الأطفال حتى يقوم بفتح الكنز، فيقوم الدجال بصنع جرح غائر في يد الطفل ويسير في المكان المستهدف وهو ينزف والمكان الذي يتوقف فيه النزيف هو مكان الكنز وعندئذ يشرب الجن دماء الطفل كلها حتى يوافق على تركه دون حراسة، ثم بعد الحصول على الكنز يتم التخلص من جثة الطفل داخل المكان الذي تم الحفر فيه أو يلقوا بها في الغابة أو في أي مكان آخر.

أحيانًا يخطف الدجَّالون الطفل وأحيانًا أخرى يساومون أهله لاقتسام الغنيمة معهم إذا تم الموافقة على اصطحاب طفلهم، وهناك من يترك الطفل حيًّا ليستخدمه غيره في استخراج كنز آخر إذا لم يسبب لهم أي مشاكل ويتعهد أهله بذلك، وهناك من يستغلون الطفل بعد إتمام مهامه وبيع أعضائه لزيادة ربحهم.

أكثر الأماكن شهرة في تلك الجرائم هي دوار "أموسلك" في جماعة تيدسي في ضواحي "أولاد تايمة" تلك التي أقطن بها، والجميع يعرف ذلك هنا وعلى علم باستهداف الأطفال الزوهريين.

ـ نعم يا وصال هذا ما حدث.

جاءني الصوت من خلفي، كان صوت مازن أو شبح مازن، لأول مرة أجده يقف أمام باب غرفته وليس بداخلها في العتمة.

وقفت في دهشة واقتربت منه ثم قلت له بدهشة:

- لماذا تحركت اليوم إلى الباب ألم تقل إنك تكره شعاع النور؟!

- هذا لأنك بدأتِ في إخراجي إلى النور.

- ولكن كيف؟

- حين عرفتِ ماذا يفعل هؤلاء المجرمون بنا.

- لقد قتلوك لأنك طفل زوهري حقًّا؟!

- "كنت ألهو كعادتي في الخارج وكنت ألمح شخصًا غريبًا عن الضيعة يحوم حول المكان باستمرار وكان ينظر إلي بأعين مخيفة، ولكني أعرفه من قبل فقد رأيته ذات يوم في منزلنا ولا أتذكر لماذا جاء ومن هو، كنت أشعر بالذعر وقتها، وفي يوم ما مر أمامي بسيارته وكنت أنتِ في العمل، وقف بالسيارة ونظر إلي بحدة وقال: اركب معي يا مازن، أختك بانتظارك في المشفى".

- قال أختك؟!

- "نعم وهذا ما جعلني أستقل السيارة معه وأنا مطمئن، سار لمسافة ليست ببعيدة ثم توقف في مكان وظهر معه رجال كثيرون، ربطوا عيني بقوة وسمعت صوت حفر بعدها وشعرت بوخزة شديدة في يدي ثم أمرني أحدهم أن أسير للأمام وأنا معصوب العينين، كنت أشعر بالخوف الشديد وكنت أهمس قائلًا "أختي وصال أين أنتِ" وبعدما سرت لمسافة ما طلب أحدهم مني التوقف وسمعتهم يهللون من السعادة وقتها.

وبعدها شعرت بألم شديد في جسدي وكأن أحدهم يقوم بتمزيقي إربا، صرخت وصرخت واستنجدت بالجميع ولكن لم يكن في القلوب أي وجود للرحمة ومن فرط الألم استغثت برب العالمين ليأخذ روحي حتى لا أشعر بهذا العذاب، وبالفعل استجاب لي بعد أن ألقوا بي داخل البئر التي حفروها، تاهت روحي في العتمة حتى اعتدت عليها وكرهت رؤية النور، لم أكن أدري لماذا قاموا بقتلي هكذا أنا وغيري ولكن الآن فهمت من خلالك السبب، كانوا يريدون استخراج كنز ما وجعلوني قربانا لإطعام الشيطان".

أجهشت في البكاء وتمنيت أن أحتضنه بقوة، يا للطفل المسكين ولهؤلاء الملاعين، نظرت إليه بحنان قائلة:

- والآن يا مازن بعد وصولي للحقيقة لماذا أنت هنا؟

ـ سأظل هنا وهم أيضًا ما زالوا عالقين في العتمة مثلي حتى يتم القصاص ممن فعلوا بنا هذا.

ـ ولكن كيف لي أن أعرفهم يا مازن؟ أعطني أي دليل أسير خلفه.

ـ ستصلين يا وصال مثلما وصلتِ لطريقة استغلالنا وعرفتِ من نحن كأطفال زوهريين.

ـ حسنًا لقد قلت إنك رأيت هذا الشخص في المنزل من قبل صحيح؟

ـ نعم.

ـ معي أنا؟ أقصد مع أختك وصال؟

ـ لا أتذكر ولكن كنا نعيش معًا وحدنا فبالتالي كان يأتي لكِ ولكن لا أعلم من هو.

رحل مازن وهو يحثني على البحث عن الجناة وهنا ساورني الشك تجاه شخص بعينه وقررت التأكد من هذا الظن.

في اليوم التالي ذهبت إلى المشفى، لم أخطط لأي شيء قد أفعله وتمنيت أن يظهر أمامي أي شيء قد يقودني إلى الحقيقة، قابلني ثامر وكان ينظر إلي في دهشة وغضب وأقترب قائلًا:

- أين كنتِ كل تلك الأيام ولماذا اختفيتِ هكذا؟

ـ شعرت بالحاجة الشديدة للراحة في المنزل وأن أكون وحدي لبعض الوقت لا أكثر.

ـ وصال لقد اشتقت إليكِ كثيرًا، أريد أن أجلس معكِ في مكان ما وحدنا.

ـ أنا حقًّا متعبة يا ثامر وما يحدث في الضيعة تلك الفترة يسبب لي التوتر الشديد.

ـ وماذا يحدث؟

ـ مؤخرًا ذاك الحادث الخاص بالطفل الذي وجدوه جثة هامدة داخل بئر هناك، ألقاه أحدهم بعدما انتهى من مصلحته.

ارتبك ثامر وقد تعمدت فعل ذلك به ثم قال:

- من الذي قد يفعل ذلك؟ وما المصلحة التي تأتي من طفل صغير، ما تقولينه ليس له دليل من الصحة، فقد وصلتني الأخبار بأنه كان يلهو وسقط سهوًا في البئر فمن أين لكِ بهذا الحديث؟

ـ إنه طفل زوهري مثل أخي مازن تمامًا ومثل بقية الأطفال الذين لقوا حتفهم، وأنت تعلم جيدًا من هم هؤلاء الأطفال وماذا يفعلون بهم.

ـ لا أعرف عنهم شيئًا وما هذا الاسم، أنتِ تثرثرين بتفاهات وخرافات اليوم وعليكِ أن تستكملي أجازتك في المنزل.

ـ أنا لا أحادثك بخرافات يا دكتور ثامر، أنت تعلم أن هؤلاء الأطفال الأبرياء يتم استخدامهم لإخراج الكنوز المدفونة بطريقة وحشية من قبل عصابة كبيرة تقوم بتجارة الآثار ويعاونهم دجال في فعل ذلك وهو من يأمرهم بخطف هؤلاء الأطفال.

صاح بي ثامر:

- من أين لكِ تلك الخرافات؟

همست بهدوء:

- إنها الحقيقة التي وصلت إليها وحدي من البحث ومراقبة الدجالين، لقد وصلت لتلك المافيا ولم يبقَ لي غير معرفة عنصر واحد منهم ومن بعدها سأقوم بتسليمهم للشرطة لينالوا عقابهم.

نظر إلي ثامر في غضب شديد وغضبه الشديد أثبت لي ما قاله شبح مازن.

نظرت إليه بهدوء ثم استدرت لأتركه يفكر، وكنت على يقين أن غضبه سيجعله يخطئ في أفعاله حتى يتسنى لي في هذا الوقت أن أوقعه في شر أعماله.

طوال ذلك اليوم كنت أقوم بعملي وأنا في حالة من الهدوء ومن وقت لآخر كنت أرمق "ثامر" بنظراتي لأجده منهمكًا في إجراء مكالمات هاتفية وكان في حالة من الغضب وهو يتحدث طوال الوقت.

أنهيت العمل وخرجت من المشفى لأبحث عن سيارة تقلني إلى المنزل فوجدت "ثامر" يقف أمامي بسيارته وابتسم في خبث قائلًا:

- هيا سأوصلك اليوم يا عزيزتي.

ـ لا بأس يا ثامر سأعود وحدي وسأنتظر أي سيارة تمر.

ـ ماذا حل بكِ يا وصال؟ فأنا أفعل ذلك دومًا!

ـ حسنًا يا ثامر سوف آتي معك.

ركبت بجواره وابتسم لي ابتسامة شيطانية وأمسك بيدي ثم قبلها وهو يحدق في عيني بخبث، بعد لحظات نظرت إلى الطريق الذي يسلكه فوجدته طريقًا مختلفًا عن الطريق المعتاد الذي أسير فيه أثناء عودتي من العمل، سألته:

- ما هذا الطريق؟ إنه ليس طريق العودة إلى منزلي، إلى أين تأخذني يا ثامر؟

ـ لا تقلقي يا حبيبتي سنتنزه قليلًا في مكان أكثر من رائع فقد اشتقت إليكِ كثيرًا.

صرخت في وجهه:

- عد بنا إلى المنزل يا ثامر وإلا فتحت باب السيارة وألقيت بنفسي منها، هيا.

نظر إلي بغضب ثم صاح في وجهي:

- أنتِ تثرثرين كثيرًا وتسببين لي المشاكل الآن اصمتي أيتها الكارثة الآدمية.

ثم ضربني بقوة على رأسي حتى فقدت الوعي تماما، بعد قليل من الوقت بدأت أستعيد وعيي ونظرت حولي فوجدتني أجلس مكومة على الأرض وحولي الكثير من الرجال يقفون أمام سياراتهم ومن بينهم ثامر، المكان كان هادئًا تمامًا وليس حولنا أي سكن أو أي مارة.

نظر إلي أحدهم وكان يرتدي زيًّا غريبًا يبدو كالشيوخ أو المشعوذين، ابتسم قائلًا بعينيه الجاحظتين:

- تلك الصغيرة عرفت ما نحن بفاعلين، نعيش لأعوام في هدوء ونفعل ما نفعله دون أن يدري به أحد وأنتِ تأتين اليوم تريدين الإيقاع بنا!

نظر إليه ثامر قائلًا:

- لقد قالت لي أنها تعرف جميع أفراد العصابة عدا عنصر واحد.

صاح به المشعوذ:

- يا غبي كانت تقصدك أنت وقتها.

ـ ولكن كيف عرفت أنه أنا؟!

وقفت في تلك اللحظة ونظرت إليهم بابتسامة وقلت:

- من وشى بكم أيها الشياطين هم تلك الأرواح التي قمتم باستباحة دمها.

صاح ثامر:

- ماذا تقصدين؟

ـ أقصد أخي مازن وغيره من الأطفال هم من قادوني لكم.

سأل ثامر المشعوذ:

- أتصدق ما تقوله؟

ارتبك المشعوذ قليلًا ثم صاح:

- سواء كانت تقول الحقيقة أم لا فلا يهم، لقد كانت تنوي الإيقاع بنا والآن هي من وقعت بين أيدينا وسنقدمها كقربان اليوم داخل بئر جديدة.

في تلك اللحظة شعرت بخوف شديد وأخذت أصرخ لأطلب النجدة، ثم أمسك بي ثامر بقوة هو وشخص آخر وقاما بوضعي أمام فوهة بئر عميقة، ثم وقف المشعوذ وفتح أحد الكتيبات بين يده وأخذ يردد بعض الطلاسم، فضحكت بقوة جعلته يتوقف فجأة ثم قال بدهشة:

- لماذا تضحكين؟

ـ أضحك على ما تفعله.

ـ أتسخرين من الأسياد؟

ـ من الأسياد؟ هؤلاء لا يملكون من الأمر شيئًا والأمر وحده بيد الله ﷻ، تلك المجلدات قرأتها جميًعا وعلى دراية بكل ما بها من طلاسم وبكل أنواع الجن والشياطين.

ـ أنتِ تكذبين.

ـ لا أكذب.

ـ حسنًا لتثبتي صحة حديثك.

ـ لدي صديق من الجن والآخر يريد الارتباط بي والآخر خدعته.

صاح ثامر:

- حتمًا تكذبين فما الدليل على صحة كلامك؟

ـ ليس لدي دليل بعينه ولكن أعرف أسماءهم وأماكن سكنهم.

ـ تلك معلومات يعرفها الجميع وأنتِ تضيعين وقتنا الآن، هيا يا شيخ أتمم بقية الطقوس.

صحت بهم:

- كيف ستفعلون بي ذلك وأنا لست بطفل زهراوي وعمري كبير أيضًا.

ضحك المشعوذ قائلًا:

- نعرف ذلك ولكنك أخت أحد الأطفال ومن وقت لآخر نحتاج لتعزيز قربان الجن ونقدم وجبة دسمة له وكان حظك اليوم أن تقع القرعة عليكِ.

ضحكت بسخرية قائلة:

- لن تستطيع.

- ولماذا؟

- لأنك خلال لحظات ستكون بين أيديهم.

- أيدي من؟

- انظر خلفك.

نظر المشعوذ ومن معه إلى الخلف فوجدوا جمعًا من الشرطة يتقدم بأسلحته تجاههم ويطالبونهم بالثبات بلا حراك.

نظر إليّ ثامر في غضب قائلًا:

- كيف فعلتِ ذلك، كنتِ تحدثينني في صباح اليوم فقط؟

- نعم، حديثي معك مدبر مسبقا وكنت قد ذهبت إلى الشرطة أمس وأخبرتهم بجميع الأدلة التي قمت بالبحث عنها وعن شكوكي حول شخص بعينه وهو أنت وطلبت منهم تعقبي ومراقبتك عن كثب دون أن تشعر لأنني كنت على يقين أنك سترتكب خطأ ما يجعلك تسقط إلى النهاية، وها هي النهاية يا ثامر قبل أن تزهق روح أخرى بريئة.

وفجأة نظرت حولي فلمحت طيف مازن يقف بعيدًا في الظلام وحوله مجموعة من الأطفال، ينظرون إلي في سعادة وكأنهم يشعرون بالشكر تجاهي وأنني صنعت بهم معروفًا كبيرًا، ثم أرسل لي مازن قبلة ولوح لي هو وبقية الأطفال فعلمت أن أرواحهم أصبحت الآن تنعم بالنور والسلام.

أمسكت الشرطة بكل أفراد العصابة ونظر إلي ثامر بغيظ شديد قائلًا:

- أكرهك بشدة.

ابتسمت بسخرية وقلت:

- ظننتك الحب والحبيب والنصيب، لم أكن أدري أنك العذاب والهلاك والعدو، لهذا؛ الثقة هي دائمًا شيء ثمين لا يجب علينا صرفها على أشياء رخيصة ولا تستحق جزءًا صغيرًا من تلك الثقة.... الشيء الذي يجعلني أكثر سعادة الآن هو أنك لن تستطيع الاقتراب منها مرة أخرى.

صاح ثامر:

- هي من؟

ضحكت قائلة:

- هي وصال.

استشاط ثامر وكانت يداه مكبلتين ويمسك به أحد العساكر، فأفلت نفسه منه وهرول تجاهي ثم دفعني بجسده بقوة تجاه فوهة البئر، وشعرت بجسدي وهو يهوي بداخله ورأيت الظلام حولي في كل مكان حتى ارتطمت بقوة في أعماق ماء البئر وحاولت أن أمسك بأي شيء دون جدوى وبدأت المياه تحتل رئتي بالتدريج وأنا أشعر بالاختناق الشديد مثلما حدث معي من قبل في مدينة "دهب" وهنا أحسست بصعوبة في التنفس....

كانت نهاية اللغز ولم تكن نهاية قصتي، استيقظت وأنا في حوض الاستحمام في منزلي بالإسكندرية وكنت مبتلة تمامًا وأرتجف بشدة، وقفت وأمسكت بمنشفة لأجفف نفسي وأسرعت تجاه غرفتي وسحبت الغطاء كله على جسدي وأنا أرتجف، ثم صحت فجأة قائلة:

- يا شعضووووض.

ظهر أمامي شعضوض وسار على الأرض بحركات خفيفة وكان يبدو عليه الخوف، ابتسمت قائلة:

- يا لا سخرية القدر، أصبح الجن يخاف من الإنسان، ولكن لست بأي إنسان، أليس كذلك يا شعضوض؟

ـ نعم يا سيدتي هو كذلك.

ـ سيدتك؟!

ـ نعم، سيدتي حتى أرحل.

ـ وهل سترحل في تلك المرة؟

ـ على حسب معرفتك بالمفتاح التالي.

ـ ما هو المفتاح؟

ـ أنتِ داخل دائرة ولكل دائرة قُطر وهو قُطر الدائرة، ترينه بعيدًا ويراكِ القريبة التائهة.

ـ دون أن أثرثر معك وأضيع وقتي أين ستنقلني تلك المرة؟

ـ مكافأة لكِ لن أرسلك إلى مكان بعيد، لتري بنفسك.

ـ هل في زمن قديم مرة أخرى؟!

ـ يا وصال أشعر وكأنك تحتاجين إلى بعض من الراحة والاستجمام.

ـ نعم يا شعضوض أشتاق لهذا الشعور حقًّا فلقد افتقدته منذ زمن بعيد.

ـ تتحدثين وكأنكِ بلغتِ الكبر من العمر وأنتِ ما زلتِ في مقتبل الشباب.

ـ نعم أصبحتُ كالعجوز في جسد فتاة من كثرة ما واجهته من مصاعب وآلام منذ الطفولة.

ـ ولكن دعيني أسألك عن المرض الذي كنتِ تعانين منه.

ـ أي مرض؟!

ـ عظيم يا وصال، لقد نسيت طبيعة مرضك أيضًا وهذا يبشر بتغيير حالك للأفضل.

ـ نعم يا شعضوض لقد تذكرت، مرض الرهاب الاجتماعي الذي كنت أعاني منه طوال فترة حياتي والذي أوقعني معك في تلك اللعبة الملعونة.

ـ ملعونة ولكن مسلية وبسببها نسيت مرضك واستطعت أن تتخطهِ بسهولة وكأنه لم يكن.

ـ معك حق.

ـ إذًا الآن قد أسديت لكِ خدمة وفي مقابلها خدمة.

ـ ماذا..........؟!

ـ كما سمعتِ لقد ألهيتكِ في لعبتي فشُفيتِ من مرضك والآن أنا أريد ردًّا لهذا المعروف.

ـ أنت تقول أي شيء، فأنت لم تقدم لي أي معروف بعد ومن أجل إعادة عز تدخلني من لغز لآخر حتى تلك اللحظة.

ـ أنتِ لا ترينه بعين المعروف ولكنني أراه كذلك.

ـ حسنًا يا شعضوض سئمت من الحديث، قل ماذا تريد؟

ـ لديك قدرة على الإقناع لا بأس بها وقوة على تحمل أي ضغط وأيضًا دهاء وفصاحة اللسان.

ـ نعم، وماذا بعد كل هذا الإطراء؟

ـ لي أخ أسير عند ملك لنا وأرى أنكِ تستطيعين فك أسره وعودته معي مرة أخرى.

ـ ماذا...... تريدني أن أقابل ملكًا من الجنّ حتى أقنعه بفك أسرِ أخيك، هذا جنون حقًّا.

ـ وإذا قلت لكِ إنها ستكون مهمتكِ الأخيرة.... !

ـ وموطن عز.......

ـ فور الانتهاء من مهمتك سأخبرك بموطن عز.

ـ حسنًا إلى أين سأذهب؟

ـ لا أدري، كل ما أعرفه أنه في جزيرة ما في البحر.

ـ أين هي تلك الجزيرة؟

ـ كان يعيش في البداية في جزيرة هنا بالإسكندرية ولكنها مع عوامل المد والجذر تلاشت ملامحها وأصبحت تحت الماء ومعظم قبيلتي يعيشون بها ولكن أخي تم أسره في جزيرة أخرى بعيدة ولكنها داخل مصر.

ـ كيف لي أن أعرف مكانها يجب عليك أن تساعدني حتى أستطيع مساعدتك.

ـ حسنًا سأساعدك تلك المرة فقط ولكن لا تأملي في أكثر من ذلك.

فجأة اهتزت بنا الغرفة وبدأت تتمايل يمينًا ويسارًا وكأن هناك زلزالًا قد وقع، كنت أتمايل بقوة مع الاهتزاز وصرخت في شعضوض قائلة:

- توقف أيها اللئيم.

ثم سقطت على الأرض بقوة......

*****

صنافير

وجدت نفسي فجأة على متن يخت كبير وكنت مصابة بدوار البحر أترنح يمينًا ويسارًا بقوة، حاولت تمالك نفسي إلى أن وقف أمامي أحدهم فجأة فقلت بدهشة:

- من أنت؟

- أنا محمود قبطان اليخت يا آنسة وصال، يبدو أن دوار البحر أصابك بالنسيان، هيا ابتلعي هذا الدواء لتشعري بتحسن.

أخذت منه الدواء ثم قلت:

- هل تعرفني؟ وهل أنت مصري؟

ضحك القبطان قائلًا:

- لا أنا من المملكة العربية السعودية، لقد أتيتِ إلينا في الصباح وطلبتِ منا أن تقومي برحلة بحرية وحدك أيًا كانت تكلفتها وأنت الآن معنا.

- رحلة إلى أين؟

- غرب جزيرة صنافير، قد مر اليخت ببطء اليوم داخل خليج العقبة حتى وصل إلى مدخل مضيق تيران، تأخرنا حقًّا لكن كدنا أن نصل.

- ماذا؟

- ما بكِ يا آنسة؟ أتودين أن نعود إلى المارينا!

صمتُّ للحظات بدهشة ثم قلت:

- لا... اعذرني فكثرة التمايل جعلتني أبدو كالحمقاء، ولكن كم الساعة الآن؟

ـ إننا في السادسة مساءً.

ـ لما نحن في وقتٍ متأخر هكذا؟

ضحك القبطان بسخرية ثم قال:

- أنتِ من طلبتِ ذلك أن تكون الرحلة ليلًا.

ـ نعم.... تذكرت ذلك، هل يوجد معنا أحد آخر؟

ـ أنا واثنان من طاقم اليخت، أحدهما هو الشيف والآخر كابتن إنقاذ ومرشد، ها نحن قد اقتربنا من الجزيرة، هل تريدين أي مشروب أو طعام؟

ـ لا ليس الآن، سأتجول قليلًا في الجزيرة لحين وصولي، ومن بعدها سأتناول بعض الطعام.

ـ حسنًا سيصحبكِ المرشد إلى هناك.

ـ لا أريد أحدًا معي، سأتجول وحدي.

ـ ولكن هذا خطر جدًّا عليكِ فالوقت متأخر وقد حلّ الظلام ومن الممكن أن تضلي الطريق أو يحدث معكِ أي مكروه.

ـ أنا مسؤولة عن نفسي وتلك هي رغبتي.

ـ حسنًا كما تشائين، معكِ ساعة إذا لم تعودي في الوقت المحدد سنبحث عنكِ.

بعد لحظات توقف اليخت وصاح بي الكابتن لأكمل بقارب صغير يقلني إلى الشاطئ.

توقفت على الشاطئ أتأمل الجزيرة التي يسودها الصمت والهدوء التام، أعطاني المرشد كشافًا صغيرًا وكان يبدو عليه الدهشة مما أفعله وطلب مني توخي الحذر وإنه سيكون في انتظاري ليعود بي إلى اليخت.

الجزيرة مظلمة تمامًا وأكاد أرى معالمها بفعل ضوء القمر المكتمل في السماء، تحاوطها الجبال الشاهقة من جميع الاتجاهات، إنها ليلة شتوية باردة جدًّا في تلك الجزيرة.

كنت أسير بخطوات بطيئة وأنا في حالة من الخوف والترقب، لا أعلم ماذا سيحدث ولا من أين أبدأ فأنا أبحث هنا عن اللا شيء في الظلام وليس معي سوى مصباح صغير.

سرت لوقت طويل ولم ألاحظ أي شيء سوى الصمت القاتل والصخور الكثيرة، جلست لألتقط أنفاسي وأخذت أفكر فيما قد أفعله محدثة نفسي: "تبًّا لك أيها الشعضوض، ما دخلي أنا في أسر أخيك وعالم الجن هذا، بات كل من أتعرف عليه تلك الفترة هم الجن ليس إلا، ولكن لماذا لم أحاول التنصل من مطالب ومغامرات هذا الجني، أعلم أن حياتي كانت مملة وأصبحت الآن ممتلئة بالمغامرات المرعبة ولهذا أحببت وجود شعضوض رغم بشاعة هيئته وطرقه المستفزة في البحث عن ألغازه، ولكن ماذا سأفعل هنا لا يوجد أي شيء حتى الجن لا وجود لهم؟ حسنًا لأعود إلى القارب فقد مرت ساعة وأخشى أن يتركني المرشد هنا ولأعاود البحث في الصباح الباكر.

أثناء سيري للعودة إلى القارب تعرقلتُ فجأة في صخرة كبيرة لم أستطع رؤيتها وسقطت بقوة في منحدر صخري أظن أن مياه الأمطار قد صنعته، سقطت على الأرض وأنا أصرخ من الألم ثم صمتُّ للحظات ولكن كان الهدوء كما هو حولي ولا يوجد سوى صوت أنفاسي العالية، وقفت على الصخور لأتابع السير ولكن شعرت بصوت خطواتي غريبًا على الصخور وكأنها جوفاء من الداخل، رطمت الأرض بقوة لأسمع الصوت جيدًا ولكن فجأة بدأت تحدث تشققات في الصخور حولي وبدأت الأرض تهتز أسفل قدمي، ثم هويت إلى الأسفل، نعم إلى الأسفل حينما انفتح ثقب كبير في الصخور وابتلعنِي بداخله، سقطت بقوة على الأرض وأصبح الألم مضاعفًا في كل جسدي.

صرخت بقوة من شدة الألم وأجهشت في البكاء حتى سمعت صوتًا قويًّا يصيح بي:

- ما الذي أتى بكِ إلى هنا أيتها الفتاة؟

انتبهت للصوت ونظرت حولي وانتابني الذعر مما رأيت، كان هناك عددٌ كبيرٌ من الجن في أشكال مرعبة، لونهم أسود كلون شعضوض وعيونهم سوداء قاتمة وفمهم واسع وضخم ولهم ذيل وقرون كقرون الماعز ويرتدون عباءات سوداء تغطي جسدهم الغريب، نظرت إليهم في هلع وتقدم من بينهم واحد منهم ولكنه أكبرهم حجما ويضع تاجًا ذهبيًّا كبيرًا على رأسه، سار تجاهي بوجه غاضب وكأنه يتقدم نحوي ليقتلني.

أغمضت عيني بقوة وأنا أقول بصوت عال: تبًا لك يا شعضوض.

ساد الصمت بعدها ثم فتحت عيني لأرى ما يحدث فوجدت جميع الجن ينظرون إليّ في دهشة ثم سألني كبيرهم:

- أتعرفين شعضوض؟

قلت بتلعثم:

- نعم إنه صديقي.

صاح كبيرهم في وجهي قائلًا:

- كيف يكون صديقك وأنتِ من الإنس، أم عشقك هو الآخر؟

ـ لا ليس هكذا، أنا وهو نقوم ببعض المغامرات معًا ليس إلا.

ـ مغامرات! إنها مغامرات خادم الألغاز شعضوض هاهاهاها، جن خبيث.

ـ ولكن من أنتم، هل أنتم أقارب شعضوض.

ـ نعم أيتها البائسة نحن قبيلة "القماقم" وأنا عبد الله المذهب حاكم القبيلة هنا.

ـ مرحبًا بك يا عبد الله، أنت مسلم صحيح؟!

صاح في وجهي بغضب:

- جئتِ إلى هنا لتسألي عن ديني وترحبي بي في مملكتي أيتها الضعيفة المنفية، لماذا أتيتِ إلى هنا؟

ـ اهدأ قليلًا أيها الملك الحكيم، لقد أتيت في سلام وفي الخير أقسم بالله على هذا.

ـ حسنًا، لماذا أتيتِ؟

ـ من أجل شعضوض، أقصد هناك أخ لشعضوض أنت تقوم بأسره هنا على ما أعتقد، أليس كذلك؟

صمت الملك عبد الله المذهب للحظات ثم نظر إلي في خبث وقال:

- الآن فهمت لقد استغلك شعضوض حتى تتوسلي إليّ لأخرج أخيه طيكل من السجن.

ـ اسمه طيكل؟

ـ نعم، ولا سبيل في خروجه من هنا، لقد عصى أوامري ويجب أن يظل معاقبًا حتى يكون عبرة لكل من يفكر في فعل ذلك.

أخذت أفكر فيما قد أفعله مع هذا الملك وفيما قد أقوله فأغمضت عيني للحظات ورددت بداخلي { رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي} ثم فتحت عيني والتقطت أنفاسي ووقفت على قدمي بكل ثقة وأنا التي خطوت تلك المرة عدة خطوات تجاه الملك عبد الله المذهب.

نظر إلي بدهشة ونظر جميع الجن لبعضهم البعض وكانوا في حالة من الترقب مما سأفعله، نظرت إلى عين الملك بقوة ثم قلت:

- أنت عبد الله المذهب خادم يوم الأحد أليس كذلك؟

قال بدهشة:

- بلى أنا هو وماذا بعد؟

ـ تقوم بالخدمة في ذاك اليوم إذا طلب أحدهم منك ذلك أليس صحيح؟

ضحك بسخرية:

- بلى يا صغيرة ولكن اليوم هو يوم السبت وخادم السبت هو الملك ميمون أبانوخ وهو من قبيلة أخرى ويعيش في مكان آخر، هيا استعدي للرحيل أو لتموتي هنا.

ارتبكت قليلًا ثم نظرت إلى الساعة في يدي ثم ابتسمت قائلة:

- نحن الآن يوم الأحد فالساعة الآن قد تخطت الثانية عشرة بدقيقة واحدة إذًا نحن في يوم الأحد.

ارتبك الملك عبد الله ثم صاح بي:

- يجب أن يتم طلبي لأقوم بالخدمة ولكن ما فعلتِه أنتِ اليوم معارض لقوانين القبيلة وهذا سيعرضكِ للخطر الآن لتنصرفي وإلا.....

- لا تهددني فأنا أعرف جيدًا ما أفعل، والخادم يظل خادمًا أيًّا كان مكانه وبأي شكل، لن أتحدث كثيرًا وكل ما أريده الإفراج عن طيكل.

- حسنًا يا صغيرة أتعلمين أن العدل كما هو موجود على الأرض فهو أيضًا موجود في باطن الأرض عندنا، إذا كان لديكم قوانين فنحن أيضًا لدينا قوانين خاصة بنا هنا ونطبقها بشدة وحزم لمن يخطئ.

- وماذا فعل طيكل ليعاقب بالأسر طوال حياته؟

ـ لقد أحب فتاةً من البشر اسمها نور منذ خمسة أعوام واشتد حبه لها وبدأ يطاردها طوال الوقت وكان يصر على الزواج منها ولكنها رفضت تلك الزيجة وكان يظهر لها في هيئة شاب ولكن لِحَظّه العَسر كانت الفتاة متيمة بشاب آخر وأصرت على الزواج منه، وفي الأسبوع الأول من زواجها قامت برحلة بحرية مع زوجها وغرقت هناك وكان السبب في غرقها هو طيكل.

ـ كيف؟

ـ ظهر أمامها بهيئته الحقيقية تلك فأفزعها تحت الماء إلى أن توقف قلبها وفقدت حياتها وعلمتُ بكل ما حدث من قبل خدامي المتلصصين، لقد عصى الأوامر في جريمتين؛ أولهما عشق البشر والثاني قتل النفس التي حرم الله قتلها بغير حق.

حدثت نفسي: "الملك على حق وفعل الحق والعدل، لقد حكم عليه بحكم صواب فأنا لو مكانه كنت قد قتلت هذا الجني الخبيث ولم أكتفِ بنفيه فقط، ماذا أفعل الآن لقد حاصرني شعضوض في هذا اللغز، لحظة لقد قلت لغز أي أن هناك أمرًا ما علي معرفته، هل اللغز متعلق بالسبب وراء نفي طيكل أم هناك أمر آخر؟!

قلت للملك عبد الله:

- هل قمت باستجواب طيكل وقت وقوع جريمته؟

ـ لا لم أفعل يا فتاة، فلقد علمت مسبقًا بكل ما حدث بالتفصيل فلم أقُم باستجوابه وأضيع وقت المحكمة فلدي العديد من الجرائم في قبيلتنا.

ـ ولكن إن كنت تأمر بالقصاص والعدل فمن العدل أن تستمع للجاني قبل الحكم عليه.

ـ ولكن من الممكن أن يكذب وأن يضللنا أليس كذلك؟

ـ ولكنك الملك وكبير القبيلة فعليك أن تكون أكثر حكمة وعدلًا من ذلك.

ـ ماذا تريدين يا فتاة؟

ـ لتُحضر طيكل ولتعيد محاكمته هنا أمامي لنرى هل حكمت عليه بالعدل أم ماذا؟

صمت الملك للحظات ثم نظر إلى بقية الجن الذين كانوا في حالة من الترقب والدهشة للحديث الذي يدور بيننا وكانوا في انتظار رد ملكهم بإعادة محاكمة طيكل.

بعد لحظات قليلة صاح الملك عبد الله:

- أحضروا طيكل من حبسه ليقف أمامي الآن في محاكمة جديدة عاجلة.

وفي لمح البصر وقف طيكل أمامنا وكان يشبه شعضوض وبقية الجن، كان يبدو عليه الحزن والانكسار والذل، صاح به الملك قائلًا:

- لقد أتت إليك واحدة من البشر، وتزعم أنها صديقة أخيك شعضوض وتطالب بسؤالك مرة أخرى عن جرائمك التي فعلتها، فاقصص لنا ما حدث من قبل بوضوح ودون كذب، قل القسم ثم قص علينا ما حدث منذ خمسة أعوام.

رفع طيكل رأسه ثم قال بحزن وهدوء:

- أقسم برب الخلق ألا أقول إلا الحق، منذ خمسة أعوام أحببت فتاة جميلة اسمها نور عرفتها عن طريق الصدفة حينما مرتْ بجوار مقبرة كنت أسكن بها، كانت تزور أباها بشكل معتاد هناك وكانت حزينة وتبكي كثيرًا وكنت أقوم بضمها في صدري حين أراها في تلك الحالة، ومن شدة حبي لها قررت الظهور أمامها ولكن في هيئة شاب وسيم حتى أقوم بإغوائها وكنت أنتظرها في المقابر وحادثتها عدة مرات وتبعتها إلى مسكنها وبدأت أتخفى داخل غرفتها وفي كل ركن تذهب إليه لأراقبها طوال الوقت، وهذا ما جعلني أجن بها، كانت حزينة معظم الوقت وكنت أود مساعدتها ولكنها لم تعطِ لي أي فرصة لفعل ذلك.

صاح به الملك:

- كنت تعلم أيضًا أن عشق الإنس مخالف للقوانين الخاصة بنا صحيح!

- نعم يا سيدي ولكن ليس على المحب حرج، فالقلب حين يهوى لا يفكر بعقله ولا يميز بين الصواب والخطأ، لقد اقتحم حبها قلبي دون أن أشعر بذلك وحاولت مرارًا أن أتخلص من هذا الحب ولكن وجدتني لا أقوى على فعل ذلك، القلب إذا رق حن وضعف وهُزم وبالأخص إذا كان هذا الحب حقيقيًّا ولا يمكن زحزحته، لقد أحببتها دون أن أنتظر مقابلًا، وقدمت كل ما تتمناه من اهتمام وحنان ولكنها.....

صمت طيكل وسقطت الدموع على وجهه فاندهشت بشدة وتأثرت بحديثه وبقوة حبه فقلت له:

- من الطبيعي ألا تبادلك نفس الحب فأنت من الجان وهي بشر وهذا مخالف لطبيعتنا وما أمرنا به الله ولو كانت فعلت ذلك سيزداد حزنها وكانت ستعاقب أيضًا في الدنيا والآخرة.

قاطعني طيكل:

- لا كانت ستعيش في سعادة معي، كانت بائسة وحزينة ولا يشعر بها أحد سواي.

قلت له:

- ألهذا قتلتها لأنها رفضتك، لا تنسَ أنك خدعتها بكونك من البشر وأنت من الجن وظهرت في هيئة شاب وسيم لتغويها.

- لا يا سيدتي لقد أعلنت حبي لها وأعلنت عن حقيقتي أمامها حتى لا أخدعها.

- ولهذا ماتت من الصدمة.

- لم يحدث ذلك.

اندهش الملك عبد الله وصاح به:

- أنت تكذب فلقد أتاني الخبر بما حدث.

- عفوًا يا سيدي ما وصلك لم تكن الحقيقة كاملة بل كان جزءًا من الحقيقة الذي نقلها إليك أحد خدامك ليشي بي نتيجة حقد في داخله تجاهي وصرخت لتسمعني ولكنك أبيت وحكمت علي دون أن تعطني فرصة للحديث.

نظرت إلى الملك بغضب وقلت:

- أرأيت أن لديه ما يقوله أيها الملك، لتكون عادلًا عليك أن تكون مستمعًا جيدًا، ولكي تكون حكيمًا عليك أن تكون ملمًّا بكل ما يحدث حولك.

ارتبك الملك ثم صاح في طيكل قائلًا:

- ولكنك عصيت القوانين بحبك لها.

قاطعت الملك وقلت له:

- لقد قال لك ليس على المحب حرج، قلوبنا ليست ملكًا لنا، كل ما في جسدنا يخصنا وملكنا وحدنا إلا قلبنا هو ملك لمن يهواه، وجميعنا بمن نهوى ملك لله وحده تعالى.

ارتبك الملك مرة أخرى ثم صاح:

- أكمل يا طيكل.

- "كانت والدتها تصر على ارتباطها بشخص آخر تراه مناسبًا لها ليقوم بالتكفل بهما بعد وفاة والدها فلم يكن أمامهما أي مصدر للرزق وكانا معدمين تمامًا ليس لديهما أي مال وكان هذا الشخص ميسور الحال ويعطف عليهما باستمرار فكانا من جيرانه.

كانت شخصية نور ضعيفة جدًّا ولا تقوى على التفوه أمام والدتها وكانت أيضًا مريضة، تعاني من شيء ما في قلبها ولدت به، عرضت عليها المضي معي ولكنها كانت تخشى على والدتها ولم تعطني كل الثقة لتطمئن لي، رفضتني بسبب كوني جنيًّا وخوفًا على والدتها وقبلت الزواج من هذا الشخص.

كان يحبها ولكن ليس مثلي ولم يهتم بها بالشكل الكافي حتى إنه لم يكن يعلم بأمر مرضها وكان منشغلًا عنها طوال الوقت في عمله.

عاشت حزينة وشعرتْ بالضيق الشديد وذات يوم طلب منها زوجها بالقيام برحلة بحرية فإنه مغرم بالبحر، رفضتْ في البداية ولكنها فجأة أصرت على الذهاب معه.

كنت أراقبها كالعادة حتى في منزلها الجديد وفي حياتها مع زوجها، كنت أمنعه عنها معظم الوقت وكانت هي سعيدة بذلك لعدم رغبتها به.

اندهش زوجها لموافقتها على تلك الرحلة فجأة وذهبا إلى عرض البحر في يخت كبير وأثناء ذلك انشغل زوجها عنها بإجراء اتصالات خاصة بالعمل.

جلست وحيدة وحزينة وكانت تفكر طويلًا وفجأة وجدتني بجوارها أحتضنها قائلًا: "لا عليكِ منه فأنا هنا بالدنيا وما فيها".

يا ليتني ما قلتها، ضمتني بقوة وبكت كثيرًا في صدري وفجأة هرولت تجاه حافة اليخت وألقت بنفسها في الماء، حاولت أن أخرجها ولكني فشلت فلست من الجن المائي كما تعلم وشعرت بالعجز والألم وقتها، ونظرا لانشغال زوجها عنها لم يلاحظ ذلك إلا بعد دقائق من سقوطها فهرول إلى حافة اليخت وقفز في الماء وأخرجها هو وطاقم العمل على اليخت ولكن لم يتحمل قلبها الضعيف ورئتيها ضغط الماء وماتت بعد لحظات قليلة من سقوطها.

ومت أنا معها منذ تلك اللحظة ولا يهمني سجن ولا منفى فقد نفيت من قبل حين رحلت، قد يذهبوا عنا ولكن يبقى أثرهم إلى الأبد".

أجهش طيكل في بالبكاء وجعلني أذرف الدموع معه، لقد شعرت به وبقوة حبه لتلك الفتاة نور، فكم يعاني مرار الحرمان منها ومرار الفراق ولكن الفرق بيننا أنني أعيش على أمل اللقاء ولكنه يعلم جيدًا أن لقاءهما مستحيل.

نظرت إلى الملك في غضب ثم قلت:

- أسمعت أيها الملك العادل، لم تكن منصفًا معه في حكمك ولم يكن له يد في قتلها.

صاح الملك قائلًا:

- أحضروا لي الخادم الذي وشى به.

حضر الخادم وقام الملك بمواجهته بما حكاه طيكل فقال الخادم:

- لقد أبلغتك يا سيدي بما حدث باختصار وإنه سبب في موتها حينما شعرت أنها لن تقدر على العيش معه وباتت لا تقوى على المضي في حياتها بشكل طبيعي.

صاح طيكل:

- لا يا سيدي كان هناك الكثير من الأمور التي تسبب لها الحزن والاكتئاب من قبل أن أظهر لها وهذا ما دفعها إلى الخلاص من حياتها، أنا كنت أريد إسعادها فقط وأن أعوضها عن كل ما تشعر به من سوء، صدقني يا سيدي.

قاطعتُ طيكل قائلة:

- أنا أصدقه أيها الملك وأنت أيضًا تصدق كل ما ذكره منذ قليل فليس له يد في قتلها؛ هي قتلت نفسها وأمها قتلتها من قبل بإجبارها على الزواج، وزوجها قتلها بإهماله، والقدر قتلها بحرمانها من والدها وبالمعيشة الصعبة.

صاح الملك:

- ولكنني أصر على أن عشق الإنس ذنب لا يغتفر.

قلت بدهشة:

- أتعجب من ذلك لأنني أعلم أن في الماضي قبل حدوث الطوفان العظيم كانت قبائل الجن تتزوج من بني الإنس بشكل طبيعي وكانوا يتعايشون معًا حتى قامت الحرب الكبيرة بينهما وتبدل الحال كليًا بعدها، ثم لو نفترض أنه خالف القانون فإنك سجنته خمسة أعوام نتيجة مخالفته لذلك القانون والآن ليس هناك ما يجعلك تحكم عليه بالسجن مرة أخرى بعد التأكد من براءته، أم لك رأي آخر؟!

صمت الملك للحظات ثم قال:

- من أين أتيتِ أيتها الفتاة لقد قلبتِ حالي بحديثك ولأول مرة لا أدري ماذا أقول.

ـ أتيت بتدبير من الله من أجل هذا المسكين وليس عليك قول شيء سوى الأمر بالحق.

أومأ الملك برأسه ثم قال:

- أنت حر من الآن يا طيكل وهذا الخادم الكاذب سيسجن مكانك نتيجة كذبه.

بكى طيكل قائلًا:

- لا يا سيدي لا أريد الحرية ولا أي شيء بعد رحيلها فكل سواء، حر أم حبيس كله سواء.

نظرت إليه وقلت له:

- ولماذا لا تقوم برسالة ما، حماية أحدهم ودفع الأذى عن الآخرين ومساعدة الناس في الخير وحث بني جنسك على عدم الوقوع في نفس خطئك أم إنك ستفعل مثل أخيك الماكر وتقوم بتلك اللعبة السخيفة مع من يطلب خدمة منك؟!

ابتسم طيكل قائلًا:

- لا يا سيدتي فأخي المشاغب شعضوض تلك هي هوايته الوحيدة ومعروف بيننا بذلك أما أنا فلا، سأفكر فيما قلته وأنا في خدمتك إذا كنتِ في حاجة لي.

فكرت قليلًا ثم قلت:

- أخوك جعلني أجن من ألغازه وأود الخلاص من ذلك والعودة إلى حياتي العادية فأنا أسعى الآن لتغيير أشياء كثيرة كنت أفعلها من قبل.

- أتريدين أن يبتعد عنكِ شعضوض؟

ـ نعم.

ـ وطلبك الذي جعله يلعب معكِ تلك اللعبة!

ـ إذا كان مقدر لي لقاءه فسألاقيه أينما كان في الوقت المحدد وإذا كان مقدر لنا الفراق فلن يستطيع الجن أو الإنس الجمع بيننا، لقد أدركت الآن أنني كنت على خطأ ومصيري بيد الله وحده، لقد علمتني تلك اللعبة أشياء كثيرة وثمينة وهذا الهدف الأساسي منها، فقط أريد حياتي العادية يا طيكل دون شعضوض ولا ألغاز ولا أي شيء آخر.

وضع طيكل يده على رأسي وشعرت بسخونة شديدة فأغمضت عيني بقوة وفجأة وجدتني في منزلي كالعادة من بعد ما حللت اللغز وأظهرت الحقيقة.

هرولت تجاه غرفتي لأبحث عن شعضوض ولكن لم يكن له أثر وما لفت انتباهي هو عدم وجود المجلد فلقد اختفى تمامًا.

علمت أن طيكل فعل ما أمرته به، ولكن ماذا عن عز يا وصال وتلك المفاتيح التي تركها شعضوض من قبل عن المكان الذي يعيش به؟!

حسنًا أيتها البائسة لقد قلت من قبل لا تريدين معرفة شيء وستسيرين حسبما يأخذك القدر، هيا لتبدأ حياتك من جديد.

*****

السر يكمن في البحر

"البحر... إنه ليس مجرد أمواج تتلاطم، ولا ألوان زاهية تصنع سحرًا غريبًا حينما تعانق ألوان السماء وحين تسقط عليها أشعة الشمس، البحر هو صندوق كبير يحمل أسرار كل من مر به هنا ليترك سره له، ليس علينا أن نقول سرك في بئر ولكن سرك في البحر، جميعنا أسرارنا بُحْنا بها من قبل للبحر، كل عين نظرت إليه تركت له كلمة، السعادة هنا، الذكريات القديمة هنا، الألم هنا والفراق هنا والحب أيضًا هنا".

قررت تغيير كل حياتي، قررت أن أحب الناس والتعامل معهم بشكل طبيعي وألا أهابهم ولكن بحرص في الوقت نفسه، وقررت الخروج من تلك البؤرة التي أحاوط نفسي بها.

طرق أحدهم الباب ففتحت في سعادة، إنها شادية التي تعمل في خدمة الشقق بالعقار المسكون أتتذكرونها؟

ابتسمت في وجهها لأول مرة قائلة:

- مرحبًا شادية.

اندهشت شادية وصمتت قليلًا ثم قالت:

- هل أنتِ بخير يا ست وصال؟

- نعم، هل يبدو عليّ شيء آخر؟

- سلام قولًا من رب رحيم، هل أثرت العفاريت عليكِ هنا؟

ضحكت بقوة ثم قلت:

- نحن العفاريت يا عزيزتي كما يقولون في العادة "ما عفريت إلا البني آدم".

ـ بسم الله الرحمن الرحيم.

ضحكتُ مرة أخرى ثم قلت:

- هيا أريد منكِ تنظيف الشقة وترتيبها جيدًا لحين عودتي من الخارج.

ـ غريبة!

ـ وما الغريب في ذلك؟

ـ لقد تغيبتِ لأيام طويلة والآن تبدلتِ كليًّا فكنت ترفضين تمامًا مساعدتك.

ـ نعم تبدلت، فلمَ أتكبد عناء العمل وحدي وأنا لدي ما هو أهم لأقوم به.

ـ أين كنتِ طوال تلك الأيام؟

صمت قليلًا ثم قلت:

- كنت في الدنيا والدنيا كبيرة ومليئة بالأسرار والألغاز يا عزيزتي.

ـ بتُّ أخاف منكِ يا ست وصال هل اختطفكِ الجن؟

اندهشت للحظة ثم قلت بسخرية:

- نعم وسأختطفك أنتِ إذا لم تتوقفِ عن الثرثرة فيما ليس لكِ شأن به وألا تسألي أبدًا عن أي شيء لا يخصك مفهوم؟

ارتبكت شادية وشعرت بالخوف وقالت:

- تحت أمرك يا ستنا ويجعل كلامنا خفيف عليكِ وعليهم.

ضحكت بقوة ثم قلت:

- هيا أيتها الثرثارة لتنهي العمل سريعًا قبل حضوري.

ارتديت ملابسي الرياضية وقررت الذهاب إلى الشاطئ لممارسة رياضة الجري هناك والتأمل فيما أهواه كما كنتُ أفعل من قبل، وأهم شيء هو آلة التصوير الخاصة بي.

بعد أن سرت لمسافات طويلة توقفت لألتقط بعض الصور للبحر وأمواجه، فكان الجو رائعًا في ذلك اليوم وتذكرت أول يوم قابلت فيه "عز" في المكان نفسه حينما وقف أمام الكاميرا فجأة، قلت لنفسي: "ليت الزمان يعود حيث تركت ضحكاتي وحيث تركت قلبي، تُرى كيف حاله هو؟ مثلي يشتاق ويتألم ويغامر، أم يعيش حياته دون أن يكترث، كيف حالك يا عز؟".

ـ لستُ بخير أبدًا وأتألم مثلك تمامًا.

إنه صوت عز، أيعقل؟ هل ما أسمعه مجرد خرافات، أم أن شعضوض يلعب معكِ مرة أخرى! تبًّا لكِ...

قاطعني صوت عز مرة أخرى وهو يقول:

- أيتها الجميلة السعيدة.

نظرت إلى الخلف بلهفة ووجدته أمامي، نعم إنه هو عز بشحمه ولحمه كما تركني آخر مرة.

وقف أمامي مبتسمًا والدموع تملأ عينيه، ووقفت أمامه في حالة من الذهول، لا أصدق أنه هنا بجواري، ساد الصمت للحظات ثم صحت به بقوة:

- أين كنت يا عز كل هذا الوقت؟ لن تتخيل أبدًا ما فعلته حتى أجدك.

ضمني عز بين ذراعيه وهمس لي:

- وهل وجدتني؟!

- الآن وجدتك.

أبعدني عز عن ذراعيه ونظر في عيني للحظات ثم قال:

- لم أستطع أن أفعلها يا وصال.

- تفعل ماذا؟

- أرحل عن هنا، هنا كل الذكريات المؤلمة والسعيدة، هنا أنا موجود ولن يكون لي وجود في مكان آخر.

- إذًا أنت هنا منذ أن ودعتك آخر مرة التقينا؟!

- نعم، لقد تراجعت عن فكرة السفر فجأة قبل إقلاع الطائرة بنصف ساعة.

- ولكن هاتفك كان.......

- نعم أغلقته ليومين فكانت حالتي النفسية سيئة جدًّا بعدما تركتني ورفضتِ الزواج مني ولكن قمت بتشغيله بعدها وانتظرت منكِ أي رسالة ولكن لم تفعلي ذلك، وتركتك حسب رغبتك في الابتعاد عني رغم أنني أموت في كل لحظة كنتِ بعيدة فيها عن عيني.

ـ ولكنني حاولت محادثتك وأرسلت لك رسالة أخبرك بها أنني لا أقوى على العيش من دونك.

ـ لم يصلني أي شيء، بالتأكيد حدث خطأ ما.

ـ "نعم وهذا لحظي السيئ، الآن فهمت قصده؛

"هنا وليس هناك حيث يكون الأجداد" أي في مصر، ثم قال:

"إنه هناك حيث المياه العذبة حيث منبع التاريخ" أي حضارتنا الفرعونية ومياه النيل، ثم قال:

"يعشق البحر فأمامه بحر وخلفه تراث عتيق وقصة الأكبر" أي بحرنا هذا الذي تعشقه وتقف لتتأمله باستمرار وتراثنا العتيق هنا الذي خلفه اليونانيون والإنجليز وقصة الأكبر وهو الإسكندر الأكبر، ثم قال:

"أنتِ داخل دائرة ولكل دائرة قطر وهو قطر الدائرة، ترينه بعيدًا ويراكِ القريبة التائهة" أي إنك داخل دائرتي هنا ومحورها وظننت أنك بعيد وأنت هنا بجواري كل تلك الأيام، كيف لم أستطع فهم ألغازه؟ كيف؟".

ـ ماذا تقولين يا وصال؟ وما هي تلك الألغاز؟

ـ أنت لن تتخيل أبدًا ماذا فعلت حتى أجدك.

ـ ماذا فعلتِ؟ لقد كنت أنتظرك هنا كل يوم على أمل أن ألقاكِ، وذهبت إلى منزلك أكثر من مرة وطرقت بابك ولكن الحارس أخبرني أنكِ رحلت منذ أيام، حاولت أن أتواصل معكِ عبر الهاتف وكان يأتيني الرد أن رقمك غير موجود بالخدمة وتوقعت أنكِ غيرتِه حتى لا أتواصل معكِ، لو كنتِ أتيت هنا ساعة واحدة لوجدتني في انتظارك يا وصال.

ـ لم أغير رقمي ولكنها قصة يطول شرحها، إنه قدر يا عز أن نفترق هكذا ونبحث عن بعضنا البعض أو لنتعلم أشياء افتقدناها منذ زمن ولكن لمَ هذا المكان بالذات؟

ـ له ذكريات مؤلمة معي ودائمًا أحب أن أذكر نفسي بها حتى يزداد ألمي لأعاقب نفسي.

ـ وما تلك الذكريات؟ ما هو السر الذي تخفيه منذ التقينا عني؟!

ـ كنت سأخبرك قبل ذلك عما حدث معي من قبل ولكن لم يتسنَّ لي الوقت لقول ذلك وكنت أنتظر موافقتك على الزواج حتى أخبرك بكل الحقيقة.

ـ حقيقة ماذا؟ هناك ما تخفيه عني أليس كذلك؟

ـ بلى، لقد تزوجت من قبل، كانت جارتي ولكنهم كانوا فقراء وبالأخص بعد وفاة والدها، عانت كثيرًا من مرض جسدي لم أكن على علم به ومرضها النفسي، كنت أظن أن وجودها معي سيغير حالها للأفضل ولكن لم تتبدل أبدًا وكانت تبكي باستمرار وفي يوم ما............

ـ خرجتم في رحلة بحرية وألقت نفسها في الماء وغرقت.

ـ نعم كيف عرفتِ؟

ـ اسمها نور.

ـ نعم هي نور، كيف عرفت تلك القصة من حكاها لكِ؟

ـ لا عليك يا عز، كل شيء كان مدبرًا ومرتبًا وكل شيء موصول ببعضه البعض.

ـ لا أفهم حديثك.

ـ ستفهم فيما بعد ولكن هل تأتي هنا لأنك تشعر بالذنب تجاهها؟

ـ نعم فلم أشعر بها حين سقطت وكنت منهمكًا في إجراء مكالمات هاتفية خاصة بالعمل، ولكن أقسم لكِ أنها كانت غير طبيعية بالمرة وحاولت أن أغير حالها للأفضل ولكن لم أستطع ذلك والآن أقوم برعاية والدتها وأنفق عليها، فهي في حالة يرثى لها من بعد وفاة ابنتها الوحيدة.

ـ لقد أهملتها يا عز، والإهمال يقضي على كل الود وكل الحب، الإهمال هو سبب فشل أي علاقة.

ـ لم يكن هناك حب لأهتم بها.

ـ ولم تزوجتها؟

ـ والدتها طلبت مني ذلك حتى أقوم برعايتهم ولم أستطع كسر خاطرها وبالأخص أن والدها كان عزيزًا على قلبي وتزوجتها ولكن كان ينقصني أشياء كثيرة وتلك الأشياء اكتملت في وجودك أنتِ يا وصال.

ـ ولكن الآن مشاعري في حالة من التخبط يا عز.

ـ ماذا تقصدين، سترفضين الزواج مني مرة أخرى رغم كل الشوق الذي أراه في عينك وكل هذا الحب، هل سترفضين؟

ساد الصمت للحظات وأعدت تشغيل كل ما حدث في الفترة الأخيرة في خيالي، لقد قررت تغيير حياتي للأفضل بعد كل ما حدث فلماذا لا أجرب فكرة تكوين أسرة لعلني أنسى كل ما فات من ألم وألا يعود لي المرض اللعين مرة أخرى....

قطع تفكيري صوت عز وهو يقول:

- ماذا يا وصال، هل توافقين على الزواج مني أم ماذا؟

ابتسمت بخبث ولمعت عيناي فجأة ثم قلت له:

- نعم أوافق على الزواج منك ولكن بشرط.

ـ ما هو؟

ـ أن أخبرك عن لغز ما وإذا استطعت حلّه سأتزوج منك.

ـ ماذا تقولين؟!

ـ أتشك في قدراتك وذكائك يا عز.

ـ هل تلعبين معي؟

ـ لعبت كثيرًا من قبلك، لتجرب تلك اللعبة لمرة واحدة ولكن بشكل أسهل وأبسط.

ـ حسنًا أنت تتحدينني وأنا قبلت التحدي.

ـ سأخبرك عن اللغز وفكر مليًّا قبل أن تجيب.....

" يعيش وحيدًا في القطب الشمالي في غرفة واحدة، لا يوجد بها نافذة، ولا يوجد بها أي شيء، يخرج كل يوم ليأكل فقط ويعود لينام وحيدًا على أرض الغرفة، كانوا يرونه باستمرار في الجوار وأحبه الجميع، وذات يوم اختفى ثم مر يوم آخر ولم يظهر، شعر الجميع بالقلق وذهبوا إلى غرفته وكسروا الباب، فوجدوه معلقًا في السقف بمشنقة، ولا يوجد أسفله سوى بقعة من الماء، والباب مغلق بأقفال من الداخل ولا يوجد أي منافذ أخرى كما قلت لتلك الغرفة، فكيف قُتل ومن فعل ذلك؟"

النهاية

عزيزي القارئ حاول مساعدة عز في حل اللغز حتى يستطيع الزواج من وصال

في انتظار إرسال الإجابة لي عبر حسابي على الفيس بوك أو الإنستجرام.

الحساب الشخصي:

الكاتبة. سارة محمد (Sara Khamis)

https://www.facebook.com/parfumde.roses.31

الصفحة العامة:

سارة خميس Sara Khamis

https://www.facebook.com/SaraKhamisCom

الإنستجرام

sarakhamiscom

https://www.instagram.com/Sarakhamiscom

المُحتَوياتْ

الإهداء ٥
المقدمة ٧
الرُّهاب ٩
عمارة العفاريت ٤٥
شبح إسرائيل ٦٥
مدينة الجن ٩٩
الدُّقْم ١٢٩
أولاد تايمة ١٦٣
صنافير ١٩٧
السر يكمن في البحر ٢١٥
النهاية ٢٢٤